أحمد أمي؟

تأليف

أ.د. عقيل حسين عقيل

القاهرة 2021م

جدول المحتويات

5	المقدمة.....
7	النَّبِيُّ الأُمِّيّ
19	الأُمِّيّة في دائرة الدراية ليست بالجهل:.....
23	الأُمَّة بين الأُمِّيّة والدراية:.....
32	مفارقات في المفهوم:.....
39	أَسْلِمَ تَسَلَّمَ تَكَسَّرَ وَهَمًّا:.....
43	مُعْجِزَةُ مُحَمَّدٍ:.....
49	الصَّلَاةُ والتسليم على النَّبِيِّ:.....
49	الصَّلَاةُ شَيْئًا:.....
50	الصَّلَاةُ مَفْعُولَةٌ:.....
51	الصَّلَاةُ تُفْعَلُ:.....
51	الصَّلَاةُ تُقَامُ:.....
52	أوجه الصَّلَاةِ على النَّبِيِّ
52	الله يَصَلِّي على النَّبِيِّ:.....
56	مُحَمَّدٌ:.....
58	الصَّلَاةُ على النَّبِيِّ فَعْلٌ مُسْتَمَرٌّ:.....
60	الصَّلَاةُ على النَّبِيِّ ذِكْرٌ لِلَّهِ:.....
63	مفاهيم الصَّلَاةِ على النَّبِيِّ:.....
67	الصَّلَاةُ والتسليم على النَّبِيِّ:.....

72	الصَّلَاةُ والتسليم قولاً:
73	الصَّلَاةُ والتسليم فعلاً:
75	الصَّلَاةُ والسَّلَامُ على النَّبِيِّ تنفيذُ أمرٍ:
76	اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ على مُحَمَّدٍ:
79	سَلِّمُوا تسليماً:
82	الصَّلَاةُ على المؤمنين:
84	مفهوم (اللَّهُمَّ) تحدِّ شَكِّي:
84	مفهوم (اللَّهُمَّ) تسليمي:
85	مفهوم (اللَّهُمَّ) دعاء الواثقين:
86	مفهوم (اللَّهُمَّ) تعجَّب معظَّم:
87	مفهوم (اللَّهُمَّ) تعظيم مطلق:
88	مفهوم (اللَّهُمَّ) اعترائي إيماني:
88	(اللَّهُمَّ) مفتاح رفع القضية:
90	سلامٌ على المرسلين
99	المرسلون قهروا الصِّعَاب:
104	السَّلَامُ على المرسلين اعترافاً:
105	مفاهيم السَّلَام
105	السَّلَامُ أمنًا:
106	السَّلَامُ تحيةً:
108	السَّلَامُ مجازة إحسان:

109	 سلام على المرسلين من بعد الابتلاء:
123	 سلام على نبي الكافة سلام على المرسلين
123	 سلام على المرسلين واحديّة:
130	 سلام على المرسلين إعجازاً:
150	 صدر للمؤلف
151	 المؤلّفات

المقدمة

مع أنّ صيغة التعجب يراها البعض استغرابًا سالبًا، فإنّ البعض الذي نحن منه لا يراها كما جاءت في مؤلّفنا هذا إلا صوغًا موجبًا.

فمؤلّفنا: (أحمّد أمي) جاء بصيغة الاستفهام التعجبيّ من يعلم أنّ محمّدًا قد أنبأه الله - تعالى - وأعلمه بما لم يكن يعلم، ثمّ يقول: محمّد أمي؛ ولذلك كان استغرابنا من هؤلاء الذين يؤمنون برسالة محمّد ويصدّقونه، ويتّبعون ما أمر به ونهى عنه وفقًا لنهي الله وأمره، وأنّه لا علم لهم عن الإسلام إلا بما أعلمهم به محمّد - عليه الصّلاة والسّلام -، بل منهم من وُصِفَ بالعالم بعد علمه بما أعلم به محمّد؛ ومن ثمّ كيف يليق بنا أن نصف المعلّم (النبي) بالأمي، وفي المقابل نصف من تعلّم على يديه بالعالم؟! ألا يكون هذا بحقّ عين الاستغراب؟

ولهذا جاء مؤلّفنا بصوغ استفهامي تعجبي؛ لاستفزاز العقل بما يلفته إلى الانتباه والصّحوة من الغفلة، التي لا تليق بمن يعلم أنّ محمّدًا قد أمره الله بأن يقرأ؛ فقرأ باسم ربّه ساعة أمره بالقراءة، ومع ذلك يقول: محمّد أمي.

فنحن لا نرى مردًا لذلك إلا علل الغفلة التي نعرف أنّها إذا ما تمّ استفزاز عقول أصحابها موضوعيًا أفاقوا من غفلتهم، أمّا أولئك الذين يجهلون فصحتهم عمّا يغفلون عنه ليس بالأمر السّهل.

ومن ثمّ أليقُ بقائل أنّ يقول عن أيّ نبيّ: أمي، وهو مُنبأ من الله تعالى بما هو أعظم من العلم! ومن ثمّ أليقُ بالعالم أن يتّبع أميًّا لا دراية له بشيء؟

وعليه: هناك لبسٌ كبيرٌ في بعض المفاهيم التي وجب علينا فكُّ اللبس عنها؛ إذ ميّزنا بين مفهوم: الأُمِّيَّة والدَّرَايَةِ، ومفهوم الأُمِّيَّة والجهل، ومفهوم الأُمِّيَّة والعلم.

كما بيّنا متى كان مُحَمَّدٌ -عليه الصَّلَاة والسَّلَام- أُمِّيًّا، ومتى أصبح على الدَّرَايَةِ نَبِيًّا مَكْرَمًا، أي: ما قبل الرِّسَالَةِ وما بعدها، فما قبلها كان مُحَمَّدٌ الرَّجُلُ الأُمِينُ، وما بعدها أصبح مُحَمَّدٌ صاحب المعجزات.

أ. د. عقيل حسين عقيل

القاهرة

2021م

النَّبِيُّ الأُمِّيُّ

الأُمِّيُّ هو الذي لا يعرف ولا يعلم بما لم يُعَلِّم أو يُعَلِّمَ به، والنَّبِيُّ الأُمِّيُّ هو مُحَمَّدٌ الذي لم يعلم بأمر الرِّسَالَةِ التي كُفِّفَ بها قبل نزولها عليه؛ ولذا فالذي لا يعلم بالشيء لا يقول شيئاً، أمَّا الذي يَعْلَمُ فَإِنَّهُ يُعَلِّمُ بما أُعْلِمُ به وَيُعَلِّمُهُ لمن هم لا يعرفون عنه شيئاً.

والأُمِّيُّ "المنسُوب إلى ما عليه جَبَلَتَهُ أُمُّهُ، أي: لا يَكْتُبُ، فهو لِأَنَّه لا يَكْتُبُ أُمِّيٌّ؛ لأنَّ الكِتَابَةَ مُكْتَسَبَةٌ؛ فَكَأَنَّهُ نُسِبَ إلى ما يُولَدُ عليه، أي: على ما وُلِدَتْهُ أُمُّهُ عليه"¹.

ووفقاً للتعريف السَّابِقِ تظهر علاقة قويَّة بين (الأُمِّيِّ والأُمَّة والأُمَّ) فكما أن الأُمَّ أصل الحمل والرِّضَاعَةِ والعناية، كذلك الأُمَّة هي أصل لكل هوية ونسب، والأُمِّيُّ هو المنسوب إلى الأُمَّ، وهي الأصل والمنسوب إلى الأُمَّة وهي أيضاً الأصل؛ ولذلك فالنَّبِيُّ الأُمِّيُّ هو الأصل الذي يجب العودة إليه؛ لمعرفة ما نسخ أُمِّيَّتُهُ بالدراية والنبأ اليقين.

والأُمِّيُّ هو الصَّافِي الذي لا تشوبه شائبة من إثر قراءة أو كتابة مُسَوِّقَةٍ لخدمة غرض من الأغراض الدنيويَّة أو الدنيويَّة، وهو من لا تلتصق به التهم فيما لا يعلم وإن نُعت بها.

والأُمِّيَّة حالة غير دائمة وهي قابلة للإزالة من الجميع في دائرة النسبيَّة ودائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع، فمن يكن أُمِّيًّا يصبح في دائرة الممكن

1 لسان العرب، ج 12، ص 22.

علما فلا استغراب في هذا الأمر؛ وإن كان بالعلم تستنير العقول وتطمئن
الأنفس والقلوب، فما بالك باستنارة النبا اليقين الذي نسخ أمية محمد بعد
أن أمره الله بالقراءة فقرأ باسم الله ما لم يكن يقرأ ويعلم؟!
وحتى لا تلبس المفاهيم بعقولنا أوضح المفاهيم الآتية من خلال
تضاد مفاهيمها:

. العلم في مواجهة الجهل (عَلَمَ جهل).

. الشك في مواجهة اليقين (شكَّ تيقن).

. الغفلة في مواجهة الفطنة (غفلَ فطن).

. الأمية في مواجهة الدراية (ولا اشتقاق من الأمية إلا مفهوم عدم
الدراية)، قال تعالى: { وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيْبًا }²،
وقال: { وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّه يَرْكَبُ }³.

جاءت هاتان الآيتان مبينتين لمفهوم الأمية بأنها عدم الدراية بالمطلق،
وهذا يخالف الجهل؛ إذ لا جهل بالمطلق، ولا علم بالمطلق؛ ومن هنا فالجاهل
وإن لم يتعلم فإنه يدري.

وهذا يدل على أن الأمية أكثر بعداً من المعرفة؛ ولذا فالنبي محمد
قبل الرسالة لا دراية له بها، كما أن مفهوم الدراية يدل على: (العلم، المعرفة
والخبرة والتيقن من الشيء)، وفي المقابل، الأمية: (ما يخالف ذلك كله)،
فالذي لا يتكلم اللغة الفرنسية بالنسبة إلى المتحدثين بها هو جاهل، والذي
لا يعرف لغة الحاسوب واستخداماته فهو بالنسبة إلى هذا الأمر جاهل،

2 الأحزاب: 63.

3 عبس: 3.

حتى وإن كان من المتحصّلين على الشهادات العالية والدقيقة، أو كان عالماً في علوم الفقه والدين، وهكذا في المقابل بالنسبة إلى من يجيد اللغة الفرنسيّة، أو أي لغة وهو لا يعلم أو لا يعرف شيئاً عن علوم الفقه والدين أو الأديان، فهو لا يخرج عن دائرة الجهل النسبيّ؛ ولذلك كل العلماء والمتعلمين في دائرة عدم المعرفة النسبيّة، ومع ذلك فالجهل لم يكن أعظم حالاً من الأميّة، بل الأميّة أعظم؛ كونها تدلّ على عدم الدراية بالمطلق، وليس على عدم المعرفة؛ ذلك لأنّ المعرفة عقليّة؛ ولذا فالكل في دائرة النسبيّة يعرف ما يعرفه، أمّا الأميّة بالشيء فلا معرفة ولا علم ولا دراية به، وبخاصّة أنّ أمر الشيء كان بأمرٍ يتعلّق بالسّماء، ومن هنا فأمر الدين (الوحي الموحى) لا يأتي إلّا من خارج العقل (من السّماء إلى الأرض)؛ ولأنّه يأتي من خارج العقل إليه من السّماء فلا أحد يعلم أو يعرف أو يدري شيئاً من ذلك؛ ولهذا فالكل أميّ بأمر السّماء، وما محمّد إلّا واحدٌ من الأميين بأمرها إلى أن أعلمه الله، وأنبأه بالأمر (كن)، فكان محمّد قارئاً بالأمر (إقرأ) فقرأ، وهذه معجزة محمّد عليه الصّلاة والسّلام.

والرّسول الكريم بالنسبة إلى علم القرآن قبل نزوله كان أميّاً قراءة وكتابة ومعرفة ودراية؛ مصداقاً لقوله تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} 4.

إنّه الأمر الأوّل الصّادر للنبي الأميّ: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ)؛ ولأنّ محمّداً -عليه الصّلاة والسّلام- أميّ، فقال:

ما أنا بقارئ فقال له: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ
اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) فقرأ ما قيل له
فأصبح بما قرأ غير أمي.

قال تعالى: { وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيٌّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا
يَظُنُّونَ }⁵ (منهم أميون) للتبعيض وهي عائدة على بعض ممن يجهلون ما
جاء في الكتاب المبين، ويقصد اليهود الذين هم أميون بالنسبة إلى من علم
أو تعلم الكتاب المبين أو آمن به. وهناك من يرى أن الأميين هم العرب
وغير العرب ممن لا يعلمون بالقرآن وأمر الرسالة الخاتمة للناس كافة، وهناك
من يقول: "(ومنهم أميون)، أناس من يهود"⁶.

قال تعالى: { الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا
عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ
الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ
عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ
هُمُ الْمُفْلِحُونَ }⁷ العرب الأميون والذين آمنوا معهم هم المعنيون بقوله:
(الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ)؛ ولأنه الرسول فهو صاحب الرسالة
الخاتمة، ولأنه النبي فهو الذي أنبأه الله: { النَّبِيُّ الْعَظِيمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ

5 البقرة: 78.

6 تفسير الطبري، ج 2، ص 257.

7 الأعراف: 157.

مُخْتَلِفُونَ⁸، ولأنّه الأميّ فهو لم يكن له سابق علم ولا دراية بما أعلم به وأنبأ وكُلف.

أمّا قوله: (الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ) فهم أصحاب التّوراة والإنجيل الذين يعلمون أنّ رسولاً خاتماً ودينًا للكافة سيكون على لسان الأميّ أحمد صلوات الله وسلامه عليه.

ولأنّ الرّسول صلوات الله عليه وسلم لم يعد أميًّا بعد الرّسالة الخاتمة، فقلوه حقّ يستوجب الاتباع؛ ولهذا قال تعالى: (يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ)؛ ولأنّ هذا الأمر من الله أعطاه لمحمّد حقًّا في سبيل إحقاق الحقّ، فاتباعه واجب، ومن يعصي أمر محمّد صلوات الله وسلامه عليه بالمعروف يعصي أمر الذي أصدر له الأمر وهو الله جلّ جلاله؛ ولذا لا يعتقد في أن الله تعالى يعطي أمره لمن يجهل أمره (أمي)؛ ولهذا لا يعد محمّد أميًّا وبين يديه أمر الله مكلف به.

ولأنّ محمّدًا لم يعد أميًّا بأسباب امتلاكه المعرفة الواعية والكاملة بعد أن قرأ دون سابق قراءة، فيجوز له حق النهي عن المنكر وتحليل الطيبات وتحريم الخبائث؛ مصداقًا لقوله تعالى: (وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ)؛ ولذا عندما كان محمّد أميًّا لم يُعط له هذا الحقّ أو هذه الصلاحيّات كما تسمى لدى البعض تحت مظلة لغة العصر، وإلا هل يُقبل أن يكون أمر التصرف بأمر الطاعة بيد من لا يعلم الأمر

ومعجزاته؟ وهل يقبل التحليل والتحريم والنهي ممن لا يعلم بما يأمر أو ينهى
أو يُحَلِّل أو يُحَرِّم؟

بالطبع: لا.

ولهذا فمحمَّد صلى الله عليه وسلّم بعد أن قرأ بأمرٍ من الله تعالى
فهو القارئ وليس الأمي؛ ولهذا لم يعد حاله كما كان قبل الرّسالة، وعليه:
الكلام أو الحديث على محمَّد قبل الرّسالة كلام أو حديث عن أمي، والكلام
أو الحديث عن محمَّد بعد الرّسالة صلى الله عليه وسلم حديث أو كلام عن
رسول عالم؛ ولذلك على المسلمين أن يفرّقوا بين الحديثين والشخصيتين
(شخصية محمَّد الأمي، وشخصية محمَّد الرّسول النبي العالم) وإلا هل يُقبل
أن يوصف النبي الكريم بالأمي، ويوصف الذين آمنوا وتعلموا على يديه
بالعلماء والحكماء الأجلاء!!؟

وكيف يُقبل أن يكون محمَّد هو صاحب الرّسالة الخاتمة للناس كافّة
وهو المرجعيّة للرّسالة ونقبل أن يوصف بالأمي؟
وكيف لا نكتشف التناقض في الأمرين:

الأمر الأوّل: أمرُ محمَّد الأمي.

الأمر الثّاني: أمر الذين تعلموا مما علمهم به علماء وحكماء؟

وعليه: هل يقبل أن يكون للرّسالة مرجعيّة ورسولها أمي؟

ولأنّ محمَّدًا رسول للناس كافّة قال تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي
رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي

وَيُمَيِّتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} ⁹ أي: إن محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن رسولًا خاصًا بالعرب بل هو للكافة: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا) وقال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} ¹⁰.

إذن كيف يُقبل أن يكون رسول الكافة أميًا والناس يعلمون؟

أقول: رسول الكافة ليس بأُمِّي، بل هو بما أُعْلِمَ عَلمَ وبشَّرَ وأنذر وحرَّضَ وحلَّلَ وحرَّم، وهو قبل الرِّسالة محمد الأمي، وبعدها محمد رسول ونبي؛ ولذا فالفرق كبير بين محمد الأمي الذي لا صلاة ولا تسليم عليه في زمنها ومحمد الرسول النبي الذي يصلي الله وملائكته عليه، ومن بعده يصلي عليه ويسلم المؤمنون الذين أسلموا وجوههم لله رب العالمين.

وعليه: فالقول ب(الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ) هو إقرار بأنه لم يعد ذلك الأمي، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} ¹¹ قال (يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ) ولم يقل: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ صَلُّوا عَلَى النَّبِيِّ) أي: إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ صَلَّاتِهِمْ عَلَى النَّبِيِّ لا تنقطع أبدًا، ومن ثمَّ الأمر هنا لو أردنا المقارنة بقصد التبيان يختلف عن أمر سجود الملائكة لآدم الذي حدث أمرًا وتسليمًا بما ميَّزه الله به من نبأ لا يعلمه الملائكة، فكان السجود طاعة لأمر الله ساعة الخطاب والإنباء،

9 الأعراف: 158.

10 سبأ: 28.

11 الأحزاب: 56.

وهكذا سيكون هو الأمر لو جاء قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ صَلَّوْا عَلَيَّ النَّبِيِّ)، أي: لكانت صلاة ماضٍ (صلاة وقد انتهت)، ولكنّها جاءت صلاة دائمة باقية، وهذه من أعظم معجزات النبي محمّد عليه الصّلاة والسّلام.

ولأنّنا من الذين أسلموا وجههم لله ربّ العالمين وآمنوا به واحدًا أحدًا لا شريك له، وبمحمّد رسولًا خاتمًا فإنّنا نصلي ونسلم عليه مباركة وإقرارًا بأنّ ما جاء به هو الحقّ من الحقّ المطلق جلّ جلاله؛ ولذا فالصّلاة والسّلام على محمّد هي اعتراف وإع بآنّه الرّسول الذي اصطفاه الله للنّاس كافّة بالرّسالة الخاتمة؛ ولأنّه يعلم بأمر الرّسالة أكثر من الذين آمنوا بها على يديه، أو آمنوا بها من بعده؛ لذا فالصّلاة والسّلام إعلان تسليم بالحق والرّسول الحقّ المصطفى من الحقّ المطلق.

قال تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} ¹². الأمييون في هذه الآية الكريمة لا تعني الذين لا يقرءون ولا يكتبون، بل تدل وتعني: أنّ الأميّة هي في دائرة النسيبة، وليس في دائرة المطلق (ما يتعلق بأمر الدين الرّسالة الخاتمة)، وإلاّ هل كان جميع العرب لا يقرءون ولا يكتبون وكأنّهم قوم جهالة بالمطلق؟ هذا القول لا يستقيم إلاّ بعدم علمهم بالقرآن قبل نزوله على رسولهم الكريم صلوات الله وسلامه عليه؛ ولهذا مع أنّهم حقًا أمييون إلاّ أنّ البعض منهم يقرءون ويكتبون؛ ولذا فهم بالنسبة إلى الدين الجديد (القرآن) فهم جميعهم أمييون، وأنّ أوّل من أعلم هو رسولهم النبي محمّد صلوات الله وسلامه عليه، الذي كان أميًا قبل نزول القرآن، ولأنّه

12 الجمعة: 2.

أوّل من أُعْلِمَ كان مكلفًا بتلاوة القرآن عليهم وبتزكيتهم وبتعليمهم الكتاب والحكمة بوصفهم كانوا أميين بما أنزل.

وعليه: فالرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - كما جاء في الآيات السابقة يتلو القرآن، ولأنّه كذلك فكيف يحق لنا أن نصفه أميًا؟ أي: هل يحق لنا أن نصف من يتلو القرآن بأنه أمي؟ وأيضا كيف نصف من يزكي ويُعلّم المسلمين والمؤمنين الكتاب والحكمة بأنه أمي؟ أي: كيف نقبل بأن يوصف المعلم بالأمي، ويوصف المتعلم منه بالعالم؟

وفي هذه الآية الكريمة تتضح بعض المهام الرئيسة للرسول الكريم وهي:

1 . أن يتلو القرآن على الأميين؛ ليعلموا بالحق ويتبعوه، والقرآن الذي يتلوه عليهم لم يتعلّمه بالقراءة والكتابة كما نحن نتعلّم، بل تعلّمه وحيًا موحى، وبهذا فقد علّمه، أي: أُعلِمَ به إعلامًا والإعلام بالشيء كالخبر به، والفرق بين هذا وذاك هو أن الإعلام بالشيء يكون أمره (هو كما هو عليه)، والإخبار به للعلم بالشيء أو ما يتعلق به دون إلزام الأخذ به، والعلم بالشيء الإلمام به دون غفلة عن شيء منه؛ ولهذا قد علّمه شديد القوى ما لم يكن يعلم.

وعليه: فالإعلام بالقرآن لا يتم إلا مع من يجمله، ومن يجمله (أمي) وتعليم القرآن يتم مع راغب أو أمي؛ ولهذا كان محمّدٌ قبل نزول القرآن أميًا به، أي: لا يعلمه، ولا يعلم عنه شيئًا ولا يدري بخلاف سيدنا عيسى والذين آمنوا برسالته؛ فهم يعلمون أنّ رسولًا سيصطفيه الله برسالته اسمه أحمد؛

مصدقًا لقوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ} ¹³؛ ولأنَّ محمَّد عليه الصَّلَاة والسَّلَام كان أميًا بالرسالات السابقة للرَّسالة الخاتمة فهو لم يعلم بالرَّسالة الآتية التي يعلم بها موسى وأتباعه قبل إعلامه وعلمه بالقرآن؛ مصداقًا لقوله تعالى: {وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَأَزْتَابَ الْمُبْطِلُونَ} ¹⁴. إنَّه القول الحق فلو كان يعلم بالأمر مسبقًا ما كان أميًا بأمر الرِّسالة، وهو أيضًا لم يكن يعرف الكتابة التي تخط بأيدي الكتَّاب؛ ولذا فلو كان قارئًا لكان كاتبًا لما يقرأ وكان في دائرة الموصوفين بالتعلم بدلًا من دائرة الموصوفين بالأميَّة.

2. أن يزيهم، وتركيتهم باتباع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتجنب ما نهى الله عنه واتباع ما أمر باتباعه والأخذ به، وتحليل ما أحله الله لهم، وقول الحق وفعل الحق والإصلاح في الأرض وعدم الإفساد فيها أو سفك الدماء بغير حق، فمن يتبع ذلك يعد مزيًّا؛ حيث لا ذنب عليه في شيء؛ ولذا فالمركون هم المطهرون.

3. أن يعلمهم الكتاب والحكمة، وهذه خطوة مترتبة على الخطوة الأولى (العلم بالقرآن) والعلم بالقرآن يعني: عدم الجهل به؛ ولذا فالعالم به هو من لا يجله.

فكلمة: (يُعَلِّمهم) تدلُّ على أنَّه متعلِّم بعلم الكتاب وعلوم الحكمة، أي: إنَّه بالعلم كان سابقًا على الأميين في تعلمه، وإلا ماذا سيعلمهم لو لم

13 الصف: 6.

14 العنكبوت: 48.

يكن متعلماً؟! وما أنه المتعلم بما علمه الله به؛ لذا لا يحق أن يوصف بالأمي؛
مصدقاً لقوله تعالى: (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي
ضَلَالٍ مُّبِينٍ).

قال تعالى: { وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيٍّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا
يَظُنُّونَ }¹⁵. (ومنهم) جاءت للتبويض؛ وذلك لإظهار الجزء من الكل، وهذا
يدل على أن البعض الآخر غير أمي، فالذين يعلمون بالكتب والرسل
ورسالاتهم غير أميين، والذين لا يعلمون شيئاً من هذا هم الأميون؛ ولذلك
فبعض من اليهود، وبعض من النصارى، وبعض من العرب أميون لا يعلمون
الكتاب.

ولذلك "الأمة التي بعثه الله إليها فيهم من يقرأ ويكتب كثيراً كما
كان في أصحابه، وفيهم من يحسب وقد بعث صلى الله عليه وسلم بالفرائض
التي فيها من الحساب ما فيها، وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه لما
قدم عامله على الصدقة ابن اللبية حاسبه. وكان له كتاب عدّة - كأبي بكر
وعمر وعثمان وعليّ وزيد ومعاوية - يكتبون الوحي، ويكتبون العهود،
ويكتبون كتبه إلى الناس إلى من بعثه الله إليه من ملوك الأرض ورؤوس
الطوائف، وإلى عماله وولاته وسعاته وغير ذلك"¹⁶. وعليه كان الرسول
محمد عليه الصلاة والسلام أمياً قبل نزول الرسالة عليه، أي: إنه أمي قبل
الرسالة مصداقاً لقوله تعالى: { وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ

15 البقرة: 98.

16 مجموع فتاوى ابن تيمية، ج 6، ص 71.

بِيَمِينِكَ إِذَا لَأَزْتَابَ الْمُبْطِلُونَ} ¹⁷ أَمَا بَعْدَ نَزْوِلِ الرَّسَالَةِ عَلَيْهِ فَلَيْسَ بِأَمِيٍّ؛
وَذَلِكَ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ، وَأَوَّلُ مَنْ أَعْلَمَ بِهِ النَّاسَ، وَأَوَّلُ مَنْ عَلَّمَهُ لَهُمْ،
وَأَوَّلُ مَنْ صَلَّى بِهِمْ قَارِئًا، قَالَ تَعَالَى: { كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو
عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا
تَعْلَمُونَ } ¹⁸.

وَلَأَنَّ الْبَعْضَ أَمِيٌّ قَالَ تَعَالَى: { وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ
بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بَدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ
عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ
الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } ¹⁹، وَلَأَنَّهُ قُرْآنَ كَرِيمٍ نَزَلَ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ
وَيُدْمِغَهُ حَتَّى يَزْهُقَ، قَالَ: { وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ } أَي: بَعْضُ مَنْ أَهْلُ الْكِتَابِ
وَلَيْسَ كُلُّهُمْ، فَلَا تَعْمِيمَ؛ حَيْثُ الْبَعْضُ يُؤْتَمَنُ جَانِبُهُ وَالْبَعْضُ لَا يُؤْتَمَنُ جَانِبُهُ،
وَمَنْ لَا يُؤْتَمَنُ جَانِبُهُ إِذَا دَايَنْتَهُ بَدِينٍ لَا يَرُدُّهُ إِلَيْكَ؛ فَهَؤُلَاءِ هُمْ مِثْلُ الَّذِينَ
يَأْكُلُونَ الرِّبَا؛ مُصَدِّقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: { الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا
يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ } ²⁰، وَمِثْلُ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ
الْيَتَامَى ظُلْمًا؛ مُصَدِّقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: { إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا
إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا } ²¹.

17 العنكبوت: 48.

18 البقرة: 151.

19 آل عمران: 75.

20 البقرة: 275.

21 النساء: 10.

الأميَّة في دائرة الدراية ليست بالجهل:

مع أنَّ الأميَّة بالشيء مطلقة؛ حيث لا دراية فإتَّها في غيره (في غير المحدد والمقصود بها) ليست كذلك، بل إنَّها نسبيَّة، ومع ذلك وفقاً لتلك المفاهيم التي سبق تبيانها وهي:

العلم في مواجهة الجهل (علمَ جهل).

الشك في مواجهة اليقين (شكَّ تيقن).

الغفلة في مواجهة الفطنة (غفلَ فطن).

الأميَّة في مواجهة الدراية (ولا اشتقاق من الأميَّة إلا مفهوم عدم الدراية).

ولتوضيح الفارق في المفاهيم أقول:

الجهل: لا يعني عدم المعرفة، بل يعني أن جزءاً كبيراً من المعرفة غائب؛ فالذي يعلم بمحمَّد رسولاً، ولا يعلم عن رسالته إلا قولاً مسموعاً يعد جاهلاً، وليس بأميٍّ؛ ذلك لأنَّ الجاهل هو من تحوطه العلوم والمعارف والأنباء ولا يسعى إلى معرفتها.

أمَّا الأميَّة فإتَّها لا وجود لشيءٍ يحوطنا ونحن لم ننتبه له، أو نتعرَّف عليه، أو ننهل منه ونتعلَّم، أي: إنَّ ما نحن منه على أميَّة لم يولد بعد، ولم يكن في دوائر تفكيرنا وتوقعاتنا، وبالتالي فنحن أميون بكل ما لم يُخلق، ونحن نجهل أمر ما خُلق ما دمنا لم نتعرَّف عليه بعد، وبعضنا جاهلٌ بما يعلمه البعض وسيظل الجاهلُ جاهلاً حتى يعلم ما علمه غيره.

ولأنّ الأُمِّيَّة تعني: لا دراية بالأمر، فإنَّها تعني غيابًا كاملًا بالموضوع الذي نحن من دونه أُمِّيَّون، أي: لا وجود لجزء ولا متجزئ معلومة وإن عظم في الصغر حتى نتمكّن من الدّراية.

ومن ثمّ فالجهل لا يعني غياب المعلومة، بل يعني عدم البحث عنها والسعي إليها، أمّا الأُمِّيَّة فلا وجود للمعلومة على الأرض حتى نسعى إليها بحثًا.

ولذا نجد من بين الذين آمنوا (لا أُمِّيَّة فيهم) لا زال بعضهم في دائرة الجاهليَّة؛ كونهم لم يتعلّموا القرآن وتدبروه: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} ²² جاء في هذا الآية الكريمة استغراب بقوله: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ) أي: لو تدبروه لعلموا الحق، ولأنّهم لم يتدبروه فهم يجهلون، أي: هم بالنسبة إلى الذين يتدبرونه غير متدبرين؛ وقوله: (أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) القلوب التي عليها أقفالها هي القلوب التي لم تتدبّر القرآن؛ ولأنّها كذلك فهي لم تُفتح بما يجب أن تتعلّمه وتدبره، فبالتدبّر تدخل الحكمة إليها؛ ولهذا القرآن الكريم لا يقتصر أمره على القراءة والكتابة، بل يمتد ليشمل التدبّر؛ ولذلك فالأُمِّيّ هو الذي لا يعرف الأمر الذي يُسأل عنه.

وبالعودة إلى القول بأنّ محمّدًا عليه الصلّاة والسّلام (أمّيّ) على معنى أنّه من الأُمِّيِّين، أي: من غير اليهود ²³. إنّه رأيٌ قد يكون على دلالة من الصّواب باعتبار أنّ محمّدًا عليه الصلّاة والسّلام وبني قومه ليسوا من الذين جاء استثنائهم من الانتساب للأُمّة الأُمِّيَّة والرّسول الأُمّيّ؛ فاليهود

22 محمّد: 24.

23 موسوعة الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ج 6، ص 3.

بوصفهم أصحاب ديانة ورسالة خاصة فقد لا يشار إليهم بالأميين؛ فهم لم يكونوا من الذين لا يدينون بها (الأميون)، أقول: نعم إنَّ العرب والرَّسول الكريم هم أميون بالنسبة إلى الرِّسالة قبل نزولها على الرَّسول الكريم، وهم الذين أصبحوا غير أميين بعد تلقيهم الرِّسالة وتعلمهم الكتاب والحكمة وتدبرهم القرآن وإسلامهم لله ربِّ العالمين، ومع ذلك بينهم ومنهم جاهلون بها.

ويكون الأميون من بعدهم هم الذين كانوا غير أميين قبل نزول الرِّسالة الخاتمة للنَّاس كافَّة، فاليهود الذين آمنوا برسالة موسى عليه الصَّلَاة والسَّلَام هم غير أميين، وهم من بعد رسالة عيسى عليه الصَّلَاة والسَّلَام أصبحوا أميين إن لم يؤمنوا بها، وهكذا حال اليهود والنصارى فهم أميون إن لم يؤمنوا بمحمَّد ورسالته التي جاءت للنَّاس كافَّة؛ ولذا في دائرة الأمية النسبية من كان يشار إليه بالأمية أصبح عالماً بأمور دينه ودينه حلالاً وحراماً، ومن كان يشار إليه بغير ذلك أصبح أمياً في دائرة النسبية إن لم يؤمن برسالة محمَّد عليه الصَّلَاة والسَّلَام.

ولأنَّ القرآن وحي موحى، فهو لم يكن معرفةً سابقةً لمن هم على قيد الحياة، ولم يكن مسطَّراً في ألواحٍ أو كتبٍ؛ وذلك لخروجه عن دائرة الممكن التي تحصره بين متوقَّع وغير متوقَّع، فالوحي لا يأتي إلا من آفاق المستحيل الذي لا يحوطه شيء؛ ولذلك فكل السَّابقين على نزوله عليهم أو إليهم هم أميون، وكل الذين آمنوا به بعد نزوله هم غير أميين.

وفي دائرة الأُمِّيَّة النسبيَّة قد يقول قائلٌ أو يتساءل: أين المسلمون في دائرة الأُمِّيَّة النسبيَّة من التقدم العلمي والتقني الذي يشهده العالم المتقدم علمياً وتقنياً؟

أقول: بالنسبة إلى الرِّسالة الخاتمة من لم يؤمن بها جاهل في دائرة النسبيَّة، وهكذا من يؤمن بها ولا يأخذ بما بلغه العلم والتطور التقني سيكون من الجاهلين.

وقد يتساءل آخر: ألا يكون الاتصاف بالأُمِّيَّة علامة من علامات النقص الذي يلحق بالإنسان المخلوق في أحسن تقويم؟

في هذا الأمر يقول ابن تيمية: "الأُمِّيَّة صِفَةٌ نَقْصٍ لَيْسَتْ صِفَةً كَمَالٍ؛ فَصَاحِبُهَا بَأَنْ يَكُونَ مَعْدُورًا أَوْ لَى مِنْ أَنْ يَكُونَ مَمْدُوحًا"²⁴.

مع التقدير التام لمحاولة العلامة ابن تيمية تفسير مفهوم الأُمِّيَّة فلا إمكانية للاتفاق مع رأيه هذا؛ ذلك لأنَّ النقص يعود للشخص الذي لم يسع، أو يبحث؛ كي يتخلَّص من النقص، أو الجهل، أو عدم المعرفة، مع العلم أنَّ النقص لا يكون إلا في مواجهة الكمال الذي لا يكون إلا لله وحده.

وعليه: لا يلحق الأُمِّيُّ أيُّ نقص بما أنَّه أُمِّيٌّ، فعلى سبيل المثال: هل يحق لنا أن نسائل، أو نحاسب، أو نعاقب أحداً على لا شيء؟ ومع ذلك يجوز لنا أن نحاسب أو نعاقب من لا يعلم بما أنَّ أبواب المعرفة والعلم

24 مجموع فتاوى ابن تيمية، ج 6، ص 71.

مفتوحة لمن يسعى، ومن هنا يتضح الفرق بين الأُمِّيَّة في مواجهة الدراية، والجهل في مواجهة العلم.

الأُمَّة بين الأُمِّيَّة والدَّرَايَةِ:

الأُمَّة الأُمِّيَّة هي الأُمَّة قبل الرِّسَالَةِ؛ ولذلك فالأُمَّة الأُمِّيَّة كانت شيعًا وأحزابًا وقبائل والفتن والعداء والفرقة واقعة بينهم، مع تعدد ما يعبدون مصداقًا لقوله تعالى: {وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَىٰ الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} ²⁵. آيات تبين تقارن بين عصر الأُمَّة الأُمِّيَّة، وعصر الأُمَّة العالمة؛ فالأُمَّة الأُمِّيَّة لم تكتب تاريخًا، ولم تصنع هويَّة، ولم تحسب حسابًا لما كانت تقوم به، ولم تحسب حسابًا لعاقبة الأمور؛ ولذا قال فيهم: (كُنْتُمْ أَعْدَاءً)، وقال: (وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ)؛ ولهذا فهم الضَّالُّون الذين قال فيهم تعالى: {وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ} ²⁶.

والقول بأنَّ العرب أُمَّة أُمِّيَّة إشارة إلى ما كانت عليه الأُمَّة قبل الرِّسَالَةِ؛ ولهذا جاء القرآن حريصًا على الأُمَّة العالمة، فأوجب الكتابة؛ مصداقًا لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى

25 آل عمران: 103 . 105.

26 البقرة: 198.

فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ
اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا { 27.

إذن: فالأمة العاملة هي التي تعلم ما يجب وتقدم عليه، وما لا يجب وتمتنع عنه أو تتجنبه أو تُغيِّره؛ ولهذا قال فيهم: (فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمُ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا) وقال: (وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا) ولأنهم أمة عاملة فهم يحسبون لكلِّ حسابه؛ فيدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر؛ وهؤلاء هم المفلحون؛ مصداقًا لقوله تعالى: {فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} 28، وعليه أتساءل: هل يمكن أن تثقل موازين الخيرات إن لم يحسب المؤمن ألف حسابٍ لما يقول ويفعل؟

وأيضًا قد يتساءل البعض: من المتتهيؤون لأن يكونوا من المفلحين؟ بطبيعة الحال هم الذين يحسبون ألف حساب لما يقولون ولما يفعلون أي: هم الذين يميزون بين ما يجب ويقدمون على قوله أو فعله، وما لا يجب ويتجنبون قوله أو فعله، وهؤلاء هم الذين موازينهم بالخيرات ثقلت؛ وبالتالي فهم المفلحون بأعمالهم وحساباتهم بعد أن علموا الحق الذي من قبله كانوا أميين.

إذن: العرب قبل الرسالة أميون، أمّا من بعدها فكانوا أميين، كونهم أصبحوا أهل دراية، يعلمون ويعلمون؛ ولذلك فالأمية تدل على عدم الدراية بالأمر.

27 البقرة: 282.

28 المؤمنون: 102.

ولأنَّ أساس البقاء الحقَّ الدَّراية بما يجب واتباعه، وما لا يجب والتوقُّف عنه والابتعاد؛ بعث الله محمَّدًا بالرِّسالة الخاتمة وللکافة؛ ليعلمهم الكتاب والحكمة، وليخرجهم من الظلمات إلى النُّور.

مع أننا كتبنا عن الأُمَّة الأُمِّيَّة إلا أنَّ البعض قد يعيد السؤال: من هي الأُمَّة الأُمِّيَّة، ومن هو الأُمِّي؟

أقول: على احتمالين:

الأوَّل: أنَّ الأُمَّة الأُمِّيَّة هي الأُمَّة التي لم تنزل عليها رسالة من الله تعالى، وهذا الأمر ينطبق بالتمام على جميع الأمم قبل الرِّسالة الخاتمة للنَّاس كافةً وبما فيهم محمَّد صلوات الله وسلامه عليه، قال تعالى: {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} ²⁹، وقال تعالى: {زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} ³⁰، وقال تعالى: {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُوهُمُ فَضَيُّ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} ³¹.

الثاني: أنَّه لا أُمَّة أُمِّيَّة بعد الرِّسالة الخاتمة، ولكن هناك جاهلون؛ منهم من يقرأ ويكتب، ومنهم ما دون ذلك لا يقرأ ولا يكتب، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} ³².

29 البقرة: 143.

30 الأنعام: 108.

31 يونس: 47.

32 سبأ: 28.

وعليه فالأمة الجاهلة هي الأمة التي لم تُدرك الحالة التي هي عليها من كفرٍ وشركٍ وضلالٍ وجهلٍ بأمور الدارين، وهي التي لم تأخذ بأسباب العلوم وتطوراتها من أجل إصلاح الأرض وإعمارها، حتى يتمكن كل فرد من أخذ نصيبه منها دون أن يطمع في نصيب الآخرين أو يُحرم من نصيبه؛ ولهذا قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} ³³ ومعنى قوله: (أُمَّةً وَسَطًا) أُمَّةٌ عَدْلٌ؛ تقول الحق وتعمل بأفعاله، فلا تظلم أحداً ولا تنحاز إلا لإحقاق الحق؛ قال تعالى: {وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ} ³⁴.

قوله: (وَإِذَا حَكَمْتُمْ) جاءت (إذا) أداة شرطية أي: إذا قبلوكم فاتخذكم الناس حكماً لتحكموا بينهم فلا تميلوا، ولا تنحازوا، واحكموا بينهم بالعدل؛ ولهذا كان جواب شرطه قوله تعالى: (أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ).

إذن: فمن هي الأمة التي يمكن أن تحكم بالعدل؟

بالتأكيد لا أمة تحكم بالعدل غير الأمة الوسط؛ ولهذا رسول الأمة الوسط هو الرسول الذي لا يميل ولا ينحاز إلا للحق وإحقاقه؛ ولأنه كذلك كانت رسالته للكافة وكان رسولاً خاتماً.

ولأنه كذلك فمن يؤمن برسالته الخاتمة ليس له بدٌّ إلا أن يكون حكماً عادلاً، وإذا كان كل من يؤمن برسالته لا شرط له في الحياة الدنيا إلا أن يكون عادلاً، فإذن كل من يؤمن برسالته هو من الأمة الوسط التي تحق

33 البقرة: 143.

34 النساء: 58.

الحق وتدمغ الباطل حتى يزهد، وإذا كان كل واحد من أبناء الأمة التي تدين برسالة الكافة حاكمًا بالعدل بين الناس، إذن بطبيعة الحال لا بد أن يكون شاهدًا على الذين حكم بينهم بالحق؛ مصداقًا لقوله تعالى: (لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ)؛ ولأنَّ الرَّسُولَ الْكَرِيمَ مُحَمَّدًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هُوَ الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ دِينَ الْحَقِّ، وَبَشَّرَ بِهِ وَأَنْذَرَ فَهُوَ الشَّاهِدُ عَلَى الشُّهَدَاءِ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ حَكَمُوا؛ بَيْنَهُمْ مَصْدَاقًا لِقَوْلِهِ: (وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) أي: يكون الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَى الْمُبَشَّرِ وَالْمُبَشَّرِ.

وعليه قد يتساءل البعض:

هل الأمة الأمية هي أمة الوسط؟

أقول: لا.

ومع ذلك قد يتساءل البعض الآخر: لم لا؟

أقول: الأمة الأمية هي الأمة العربية قبل الرسالة.

أمَّا أمة الوسط فهي (أمة محمد) عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ ولذلك فأمَّة الوسط هي (أمة المركز) التي لا تدور العجلة إلا بها، أي: لا تصلح الأرض إلا بها؛ ولذلك فأمَّة الوسط لا تُفَرِّقُ بين أحد من رسله، ولا تُكره أحدًا على الدين، وتُصلح الأرض ولا تُفسد فيها ولا تسفك دمًا بغير حق؛ ولأنَّها أمَّة المركز الوسط فهي حاملة الأطراف على إحقاق الحق؛ ولهذا في الميزان العدل لا يكون الأمر بينها إلا شورى.

وبناء على ما تقدّم سائلًا قد يسأل:

هل ما كُتِبَ في هذه الصفحات عن الأمة الوسط (الأمة المركز) هو

على قيد الحياة يُفعل؟

أقول: (نعم) إنه على قيد الحياة، ولكن يا ليته يُفعل، والذي يُطمئن

أصحاب القلوب هو اليقين بأنَّ ما جاء به محمد هو الحق، والحق طال

الزمن أم قصر لا بد أن يُحق، والله دائماً مع الصابرين؛ مصداقاً لقوله تعالى:

{ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ

وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ

يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ }³⁵.

إذن من هو النبي الأمي؟

الإجابة على أربعة احتمالات:

الاحتمال الأول: محمد قبل الرسالة مصداقاً لقوله تعالى: { وَمَا كُنْتَ

تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِآرْتَابِ الْمُبِطِلُونَ }³⁶.

الاحتمال الثاني: النبي محمد عليه الصلاة والسلام بعد الرسالة؛

مصداقاً لقوله تعالى: { هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم

مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ }³⁷. أي: إن الله نزل

على نبيه محمد آيات الذكر الحكيم، التي بها أصبح محمد دارياً وعالماً بالحق

المطلق، وفي هذه الحالة لم يعد ذلك الأمي كما هو حال بني قومه، مما أوجب

عليه التبشير بالآيات البينات في اللوح المحفوظ، وهداية الناس من حوله؛

35 ق: 39، 42.

36 العنكبوت: 48.

37 الحديد: 9.

مصدقًا لقوله تعالى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَبَّ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ} 38. فقوله: (أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ)؛ للتأكيد على أنه لم يكن من بناء أفكار محمد، ولأنه وحيٌّ من عند الله تعالى فهو على غير سابق معرفة به؛ ولهذا كان محمدٌ رسول الله صلى الله عليه وسلم أميًا بالنسبة إلى الوحي قبل أن يُعلِّمه له شديد القوى، وقوله: (قرآنًا عربيًّا) نزل بلغة العرب؛ لما فيها من الوضوح والبلاغة والجمال في إظهار العبر والقصص والحكم التي تمد العقل بالاستقراء والاستنباط الممكن من التفكر والتدبر.

وبما أن القرآن موحى لمحمد وحيًّا، إذن لا شك في أنه كان أميًا بالنسبة إليه (بالنسبة للقرآن)، أي: لا يعلمه أبدًا؛ ولذا فمن بعد وحيه إليه لم يعد أميًا باعتباره أصبح يعلمه، ومن يعلم الوحي (القرآن) لا يمكن أن يوصف بالأمي، بل هو في دائرة النسبية يوصف بالعالم به.

ولأن محمدًا قد أعلم بالرسالة وعلم بها فأصبح نبيًّا ورسولًا يهدي بها للتي هي أقوم، ويجادل بالتي هي أحسن، وينذر ويحرض ويبشر ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويسارع في أفعال الخيرات، أمرًا بإصلاح الأرض وعدم الإفساد فيها، وعدم سفك الدماء بغير حق إن رسولًا يأمر بما أمر الله به، وينهى عما نهى عنه يوصف بالأمي أمر لا يقبل ولا يقبل التصديق.

الاحتمال الثالث: الرسول الأمي هو رسول الكافة عالميها وجاهليها ومسلميها وكافريها؛ مصداقًا لقوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ

بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} ³⁹، فقوله: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ) تعني: أرسلناك رسولاً لكل الأمم من مشارق الأرض ومغاربها؛ ولهذا يكون هذا الاحتمال الثالث أن الأمي هو من يُنسب أممياً، أي: هو النبي الذي يوحد الأمم على كلمة سواء، وهو الذي لا يغالب أمة على أمة لعرقٍ أو لنسبٍ، بل هو العادل بين الناس ليحكم بينهم بالعدل فيما يختلفون فيه؛ ولذلك جاء وصف محمد رسولاً أممياً مثلما جاء وصف إبراهيم أمة؛ مصداقاً لقوله تعالى: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَّمِمَّنْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} ⁴⁰ أي: وكان إبراهيم أمة بأسرها؛ وذلك لأنه يحسُّ بحالها ويفرح لفرحتها، ويتألم لآلامها؛ ولهذا وصف بالأمّة على سبيل الإطلاق لا على سبيل التخصيص.

وعليه: فالنبي الأمي هو نبي الأمّة في العموم وليس في الخصوص؛ ولهذا بعث الله محمداً رسولاً ونبياً للناس، ولم يخصّ به المسلمين، وبعثه للجنّ مثلما بعثه للإنس؛ مصداقاً لقوله تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} ⁴¹ قال: (لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ) دون أي استثناء أي: إنَّ المستهدفين بالكلم الفصل الذي يفصل بين الحق والباطل هم جميع العالمين، وقال تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} ⁴²، فقوله تعالى:

39 سبأ 28.

40 النحل 120.

41 الفرقان 1.

42 الأعراف 158.

(قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا) تؤكد هذه الآية الكريمة على أن الرسول الأمي يقصد به أنه رسول الناس جميعًا، وليس من لا يقرأ ولا يكتب كما يظن البعض أو يفسرون، وأيضًا فهو لم يكن لأمة خاصة، بل هو رسول الأمة على العموم.

الاحتمال الرابع: الرسول الأمي هو مستهدف الأميين بالرسالة، والأميون هم الذين لا يعلمون الرسالة الخاتمة، وهم على احتمالين:

الأول: الذين لم يسبق أن حُصِّوا برسالة من عند الله، وهؤلاء هم الأميون على المطلق عرب وغير عرب.

الثاني: الذين حُصِّوا وسبق إبلاغهم برسالات أو إنباء من عند الله تعالى وهم اليهود والنصارى ومجموعة من الأمم والأقوام والشعوب السابقين، ومع أن هؤلاء سبق إبلاغهم أو إنبائهم فإنهم بالنسبة إلى الرسالة الخاتمة أميون لا يعرفونها أبدًا.

ولذا فالنبي الأمي هو محمد قبل الرسالة الذي في ذلك الوقت لم يصل الله وملائكته عليه فهو كسائر الناس، أمّا محمد بعد الرسالة فهو الذي صلى الله عليه، وأمرنا أن نصلي عليه ونسلم، فالحمد لله أننا من المصلين والمسلمين عليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا⁴³﴾، وعلينا أن نميز بين قوله: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ) وقوله: (صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)، فالأولى: إن الله وملائكته يصلون على النبي ولا يُسلمون عليه، والثانية: يُصلُّون عليه

43 الأحزاب: 56.

ويسلمون تسليمًا؛ ولأنَّ الصَّلَاةَ على النبي مباركة، وهي تقدير له فالله وملائكته يباركون الرَّسول ويرضون عنه؛ ولأنَّ التسليم طاعة فالله يُطاع ولا يُطِيع؛ ولهذا الذين آمنوا يباركون الرَّسول ويطيعونه ويسلمون عليه تسليمًا، إيمانًا وتسليمًا بقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا }⁴⁴؛ ولأنَّ أمر التسليم طاعة واتباع للرَّسول، قال الحواريون لعيسى وهم طائعون ومصدقون له كما جاء على لسانهم في قوله تعالى: { رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ }⁴⁵.

مفارقات في المفهوم:

بناء على ما سبق عرضه من معلومات بإمكاننا أن نفرِّق بوضوح لا لبس فيه بين الأُمِّيَّة والأُمِّي، والأُمِّيَّة والأُمِّي.

مع أنَّ بعض اللغويين يقولون: أنَّ الأُمِّيَّة هي دليل إثبات عدم القراءة والكتابة، إلاَّ أننا نقول:

هذا الحكم من حيث المفهوم لا يصاحبه الإطلاق، مما يدخله في دائرة النسبيَّة التي تسمح لنا ولغيرنا بأن يطرح أفكاره وآراءه التي لها ما يسندها من القرآن الكريم؛ مصداقًا لقوله تعالى: { وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا }⁴⁶ فالذين أوتوا الكتاب هم

44 النساء 59.

45 آل عمران 53.

46 آل عمران 20.

اليهود والنصارى، وهم من نزلت فيهم التوراة والإنجيل، وهؤلاء هم الذين يعلمون بأمر ما أنزل فيهم، ومع أنهم يعلمون ما أنزل في كل منهما من تورا وإنجيل فإنهم ليسوا جميعاً يعرفون القراءة والكتابة؛ ولذا فمنهم من لا يقرأ ولا يكتب؛ ولذلك في مقابل الذين (أوتوا الكتاب) جاء (والأميين)، الذين أوتوا الكتاب ويعلمون ما جاءهم فيه، والذين لم يأتم كتاب لا يعلمون شيئاً مما لم يأتم؛ ولهذا فهم أميون وسيظلون كذلك إلى أن يأتيهم الكتاب؛ ولأن أمر الأمية لا يقتصر كما يظن البعض على عدم معرفة القراءة والكتابة فإن العرب الذين وصفوا من قبل البعض بالأميين؛ ليسوا بأميين بالمطلق حيث منهم من كان يقرأ ويكتب قبل نزول الرسالة الخاتمة، "فنحن طبعاً نقرأ في كتب السيرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قد استعان بعدد من كتاب الوحي؛ لتدوين القرآن الكريم فور نزوله، أيضاً نقرأ أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قد أسلم بعد أن قرأ جزءاً من سورة طه، وكذلك نقرأ أن مشركي مكة قبل الهجرة قد كتبوا صحيفة مقاطعة للمسلمين ووضعوها في الكعبة، وهكذا كان في أسرى معركة بدر من الكفار من أراد افتداء نفسه أن يعلم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة، وفي التاريخ نقرأ عن المعلقات السبعة وهي قصائد عُرف عنها أنها كانت تُكتب على صحائف وتعلق في الأسواق والمنتديات العربية قبل الإسلام، و غير هذا مما يدل على أن العرب كان علم القراءة والكتابة معروف لديهم"47، وتشير كثير من أشعارهم في الجاهلية إلى هذه المعرفة، فقد عرفوا أدوات الكتابة كالقلم، ويشير إليه الشاعر الكاتب عدي بن زيد في قوله:

47 المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام، ج 7، ص 3.

له عنق مثل جذع السحو... ق والأذن مصعنة كالقلم

وقال حاتم:

أُتَعْرِفُ أَطْلَالَ وَنَوِيَا مَهْدَمَا... كَخَطِّكَ فِي رِقِّ كِتَابَا مُنَمَّنَمَا

فالعرب عرفوا القراءة والكتابة لكنهم أميون بالكتاب السماوي، وهو قول الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى: (وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ): "أهل الكتاب يعني اليهود والنصارى، والأميين الذين لا كتاب لهم وهم مشركو العرب" 48؛ ولذا يكون الاتفاق مع ما قصد إليه الإمام القرطبي في تفسيره لهذه الآية، وفقاً لما أورده تحليلاً وتفسيراً واقتباساً.

وعليه: فَإِنَّ الْأُمِّيَّةَ: هي لا دراية بالشيء المشار إليه معرفة؛ ولذلك تتساوى الأمية؛ كونها شيئاً مع الدراية؛ كونها شيئاً آخر، ولكن كلٌّ منهما يختلف عن الآخر، فالأمية شيء معروف ولا علم توحيد فيه، والدراية شيء معروف ولا أمية فيه؛ ولذا فكل منهما حقيقة معلومة في دائرة الوجود إلا أن الأمية معلومة بانعدام العلم اليقين، والدراية معلومة بالعلم اليقين، فكل منهما حقيقة ماثلة أمام الآخرين، وهؤلاء الآخرون هم الذين أمام كل منهما اعتقاد أنه المستهدف من الآخر؛ وذلك لعلم العالمين بأضرار الأمية على القيم والفضائل الإنسانية التي يرتضيها الخالق جل جلاله في دائرة الإيمان.

ولأنَّ مقابل مفهوم الأمية الدراية، قال تعالى: {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} 49، وهذا يعني: أنَّ الدراية ليست علماً فقط، بل

48 المصدر السابق، ص 3.

49 محمَّد 24.

تحتوي مفهوم التدبُّر أيضًا، أي: إنَّ الدراية تعني: (علمًا وزيادة تدبُّرًا)؛ ولذا فالأمِّي هو المنسوب إلى دائرة انعدام الدراية الإيمانيَّة (معرفة علم التوحيد والدراية به) التي سبق الإعلام أو العلم بها، والعالم هو العارف أو المدرك قبل غيره بما تم الإبلاغ به من معرفة إيمانيَّة (معرفة التوحيد).

وعليه أتساءل:

هل العالم بعلم التوحيد مثل العالم بعلم غيره؟

أقول: العالم بمعرفة التوحيد ودرايته غير العالم بمعرفة العلم الحديث في الطب والرياضيات والحاسوب وتقنية المعلومات وغيرها كثير؛ فالعالم الأوَّل يقابله الأمِّي، والعالم الثاني يقابله الجاهل، أي: إنَّ الأوَّل علمه في دائرة الكمال؛ مصداقًا لقوله تعالى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ} ⁵⁰ وقوله: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} ⁵¹، وقوله تعالى: {وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} ⁵² أمَّا الثَّاني فعلمه في دائرة النقص؛ مصداقًا لقوله تعالى: {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} ⁵³؛ ولذلك فما يعلمه العالم بعلم الكتاب لا يساويه ما يعلمه آخر وهو لا يعلم بعلم الكتاب، قال تعالى: {أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} ⁵⁴، وعليه: فعلم

50 الأنعام: 38.

51 هود: 6.

52 النمل: 75.

53 الإسراء: 85.

54 الأعراف: 62.

التوحيد تنزيلي من الخالق تعالى، والعلم من غيره علم مخلوق، ولا مجال للمقارنة بين العلم المطلق والعلم في دائرة النسبية.

وجاءت كلمة (أمة) على عدة أوجه ومعانٍ، منها:

1. جاءت على معنى: (الجماعة الصغيرة) كما في قوله تعالى: {وَلَمَّا

وَرَدَ مَاءٌ مَدِينٍ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ} 55.

2. جاءت على معنى: (فترة زمنية)؛ مصداقاً لقوله تعالى: {وَقَالَ

الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ} 56.

3. جاءت بمعنى: (المفرد)؛ مصداقاً لقوله تعالى: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ

أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ} 57.

4. جاءت على معنى: (القوم الذين هم على أصل وانتماء)؛

مصداقاً لقوله تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ} 58.

5. جاءت على معنى: (دين وملة)؛ مصداقاً لقوله تعالى: {بَلْ قَالُوا

إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ} 59.

6. جاءت على معنى (شمول الناس) قال تعالى: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً

وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ

55 القصص 23.

56 يوسف 45.

57 النحل 120.

58 فاطر 24.

59 الزخرف 22.

بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ {60}.

7. جاءت على معنى: أُمَّة (لأي دابة وأي طير) قال تعالى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّةٌ أُمَّتُكُمْ} {61}.

8. جاءت على معنى: (أمم الجن والإنس) قال تعالى: {قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ} {62}.

9. جاءت على معنى: (عموم الخلق) كما في قوله تعالى: {وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} {63}، وقال تعالى: {قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّةٍ مِمَّنْ مَعَكَ} {64} الله خلق الناس أُمَّة ثم كانت منهم الأمم، وكان الجن أُمَّة، والطير أُمَّة، والنحل أُمَّة، والنمل أُمَّة والجماعة الصغيرة أُمَّة؛ ولذلك وردت في الآيات السابقة كلمة (أُمَّة وأمم)؛ لتفصح مجال الاجتهاد في دائرة العلم والمنطق وإظهار الحق من الباطل.

وبناء على ما تقدّم فمن هو الأُمِّيّ؟

وعوداً على بدء أقول: إنَّ علاقةً قويةً تربط الأُمِّيّ بالأُمِّيَّة والأُمِّيَّة؛ ولهذا كان محمّد عليه الصلّاة والسّلام أُمِّيّاً على حُجج سبع:

60 البقرة: 213.

61 الأنعام: 38.

62 الأعراف: 38.

63 الأعراف: 181.

64 هود: 48.

الحُجَّةُ الأولى: أَنَّهُ أُمِّيٌّ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَلَمْ يَكُنْ يَدْرِي بِأَمْرِ الرِّسَالَةِ الْخَاتِمَةِ، بَلْ عَلِمَ بِهَا وَحِيًّا يُوحَى؛ مُصَدِّقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى} ⁶⁵.

الحُجَّةُ الثانية: أَنَّهُ أُمِّيٌّ مِنْ حَيْثُ نَسَبُهُ لِلْأُمَّةِ، الَّتِي لَمْ يَسْبِقْ لَهَا أَنْ اهْتَدَتْ كَمَا اهْتَدَى أَهْلُ الْكِتَابِ مِنْ قَبْلِهَا، وَبَقِيَتْ عَلَى حَالَةٍ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ الَّتِي لَا تَفْرِيقَ فِيهَا بَيْنَ حَلَالٍ وَحَرَامٍ.

الحجة الثالثة: أَنَّهُ أُمِّيٌّ لِانْتِسَابِهِ إِلَى الْكَافَّةِ؛ مُصَدِّقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} ⁶⁶.

الحجة الرابعة: أَنَّهُ أُمِّيٌّ لِتَجَاوُزِهِ رَسُولًا وَنَبِيًّا لِأُمَّمِ الْإِنْسِ، إِنَّهُ الْمَبْعُوثُ لِلثَّقَلَيْنِ؛ وَبِذَلِكَ فَهُوَ النَّبِيُّ الْمُتَجَاوِزُ انْتِمَاءً لِحُدُودِ الْأُمَّةِ الْوَاحِدَةِ، قَالَ تَعَالَى: {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ} ⁶⁷،

65 النجم: 4 . 11.

66 سبأ: 28.

67 الأحقاف: 29 . 31.

الحجة الخامسة: أنه النبي (الأمّة) من حيث كونه نبياً للكافة: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ }⁶⁸.

الحجّة السادسة: أنه الرّسول النبي الأمي الذي (استهدف الأميين برسالته ودعوته)، قال تعالى: { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ }⁶⁹.

الحجّة السابعة: إنه أمي؛ حيث (لا أمّة أمية من بعده)، فهو آخر رسولٍ ونبيٍ من آخر أمّة أمية؛ ولهذا فقد اكتسب الصفة التي لن تتكرر على أمّة بأسرها كما كان حال أمته عليه الصلّاة والسّلام.

أَسْلِمَ تَسَلَّمَ تَكَسَّرُ وَهَمًّا:

مع أنّ (أَسْلِمَ تَسَلَّمَ) كلمتان، ولكلٍ منهما معنى؛ فإنّهما معاً يحملان مضموناً واسعاً، اختلفت القلّة على ما يدلّان عليه، وفي المقابل الكثرة اتفقت، فالبعض استوقف عقله عند أمر فعلهما، والأكثرون استوقفتهن عقولهم عند الأفعال المعظمة للأمر. فمضمون كلمتي: (أَسْلِمَ تَسَلَّمَ) يحوي لبّ رسائل النبي محمّد - عليه الصلّاة والسّلام - المرسل بها إلى الملوك والحكّام، الذين برسالة الإسلام ونبوءة محمّد كان لهم من المخاوف والأوهام ما لهم؛ فبعث النبي إليهم ما يطمئنهم، ويكسر وهمهم، ويظهر لهم لبّ حقيقة الإسلام: (أَسْلِمَ تَسَلَّمَ)، بمعنى: اطمئنوا فلا خوف من الإسلام، فعندما لا يعتدي أحدٌ علينا نسالمه؛ وبهذا كانت الغاية من إرسال الرّسول للملوك

68 سبأ: 27.

69 الجمعة: 2.

والحكام للتعريف بنبوءة محمد، ورسالة الكافة، والدعوة إليها (أسلم تسلم)، وفي المقابل من لا يريد أن يسلم فلا يسلم؛ إذ لا إكراه؛ ولهذا فإن الغاية كانت للتعريف بالنبوة وطمأنة الخائفين، وليس بغاية التهديد الذي يخالف أمر الرسالة .

ومع أنهما كلمتان عظيمتان فإن الرسالة المحمولة في مضمونهما تحمل بلاغاً أعظم، بلاغاً يُنبئ بأمرٍ يتعلّق بالكافة؛ ذلك لأن أولئك الحكام وشعوبهم كانوا يعتقدون أن محمداً بُعث رسولاً للعرب فقط، وللتصحيح بعث محمد رُسولَهُ لِيُبلِّغُوا بِرَسُولِ الكَافَّةِ، والهداية بالحق واتباعه بغاية: (الكفر بالكفر)؛ ولذا فالنبي محمد علم أنه إن لم يُبلِّغ بما أُمر به فما بلِّغ الرسالة: { يَا أَيُّهَا الرِّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ }⁷⁰. إذن مضمون رسالة النبي: (أسلم تسلم) مضمون إبلاغي؛ ولأنه إبلاغي فالمبلِّغ به يأمر بالسَّلام، وكما ينهى عن الكفر ينهى عن أفعال الإكراه بالمطلق؛ مصداقاً لقوله تعالى: { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ }⁷¹؛ ولهذا فلا تهديد في رسالة (أسلم تسلم)، أي: لو كانت رسالة تهديد لكان المهدد به مضموناً فيها ومنصوصاً عليه.

ولأنه لا إكراه في الدين ورد في الرسائل الموجهة إلى بعض الحكام والملوك عبارة: (فإن أبيت) وعبارة: (فإن توليت) وفي الحالتين، سواء في حالة الإباء، أم في حالة التويي هناك مترتب على أفعال الإيذاء والتويي، ففي حالة

70 المائة 67.

71 البقرة 256.

الإيباء، قال في الرسالة الموجهة إلى كسرى: (فإن أبيت، فإن إثم المجوس عليك)، هذا ما قاله محمد، ولم يقل: (فإن أبيت سأقاتلك)، وفي حالة التولي، قال في رسالة هرقل: (فإن توليت فإن عليك إثم جميع الأريسيين)، هذا ما قاله بالتمام أيضاً، ولم يقل: (فإن توليت سأقاتلك بالسيف) وفي الرسالة الموجهة إلى المقوقس قال: (فإن توليت فعليك إثم القبط)⁷²، ولم يقل له: (فإن توليت سأرسل إليك جيش المسلمين يقاتلك).

وعليه: كان لمضمون الرسائل مفهوم مفاده: في كل الأحوال إن لم تقبلوا بما أرسلتُ به رُسلي إليكم نصحاً، وتبشيراً، وإنذاراً، وتسليماً (تصديقاً) فإنَّ أثم وذنوب شعوبكم وأقوامكم التي تتحكّمون في أمورهم وشئونهم ستكون أوزاراً على ظهوركم وستحاسبون عليها أمام الله.

ولأنَّ ما تصدّر به مفهوم: (أسلم تسلم) لا إكراه فيه؛ جاء عجزه مؤكّداً للمفهوم ذاته وسانداً له بلا إكراه، (فإن توليت فإن عليك إثم جميع الأريسيين)، وهكذا جاء الصّدور في رسالة كسرى: (أسلم تسلم) وجاء العجز: (فإن أبيت فإنَّ إثم المجوس عليك). كما أنَّ مفهوم (أسلم تسلم) مفهوم إنذارِيٌّ، أي: وكأنَّ المفهوم يقول: إن لم تسلم ستقع في مصائب نحن نعلمها ويا ليتك تعلمها؛ حتى لا تقع فيها عن غفلة، ومن ثمَّ فمن يرغب في معرفتها فعليه بما يكسر وهمه وهو: (الإسلام)، وإلا سيفاجئ بما لم يعلم، والإسلام يعلمه؛ ولذا فرسالة: (أسلم تسلم) هي رسالة كسر وهم الذين ظنوا أنَّ رسالة محمد هي رسالة إكراه بحدّ السيف، وعندما تبين لهم أنَّها ليست

72 عبد الرحمن بن حسن التميمي، المطلب الحميد في تبيان مقاصد التوحيد، دار الهداية للطباعة

والنشر، 1991م، ص 151.

كذلك فمعظم الملوك قد أسلموا؛ إذ أسلم النجاشي ملك الحبشة، وأسلم جيفر وعبد ابني الجلندي الأزديين حكام عُمان، والمنذر ملك البحرين، وكاد أن يسلم هرقل ملك الروم لو لم يغالبه الوهم.

ولأنَّ كلمة (تسلّم) تعني: تنجو، إذن فمفهوم (أسلم تسلّم) يعني: (أقبل على ما يُنجيك)؛ وبهذا المعنى يصبح مدلول (أسلم تسلّم) مدلول نصيحة مع وافر الحرص على سلامة من يُدعى بالقول: (أسلم تسلّم)؛ ولهذا فالفرق كبير بين من يقل لك: (أسلم تسلّم)، ومن يقل لك: (استسلم تسلّم)؛ فالفرق بينهما: أنَّ مفهوم الأولى متمركز على التقدير والاحترام والحرص على سلامة المدعو، مما يجعل النصيحة لصالح المنصوح.

أمَّا مفهوم الثانية فمتمركز على تحقير المدعو والتقليل من شأنه، وهنا تصبح النصيحة في صالح النَّاصح وليس المنصوح؛ ذلك لأنَّ الاستسلام فيه من الإذلال ما فيه، مع تقديم المزيد من التنازلات السَّالبة للإرادة، والتي لا يمكن أن تكون في صالح المنصوح.

وعليه: فإنَّ (أسلم تسلّم) تعني: (إذا أسلمت سلّمت) أي: إذا أسلمت نفسك لله تعالى سلّمت ونجوت من معصية أمر الله: (أسلم تسلّم). مع العلم أنَّ مضمون (أسلم تسلّم) مضمون تحفيزي، وكأنَّه يقول لك: لا تتأخَّر فأنا متأكَّد من نجاتك وسلامتك إذا أخذت بما أنصحك به وأرشدك إليه.

مُعْجَزَةُ مُحَمَّدٍ:

مع أَنَّ المعجزةَ ما لا يستطيعُ بنو آدم فعله وبلوغه، فَإِنَّ الأنبياءَ يُمَكِّنُونَ منه، فبالمعجزِ سَجَدَ الملائكةُ لِآدمَ بما أعلمه اللهُ به؛ ولأَنَّ الملائكةَ يعلمون، فلمَّا علموا بما لا يعلمون، وعجزوا؛ سجدوا لمن علّمه اللهُ؛ طاعةً لِأمرِ اللهُ.

ولأَنَّ معجزاتِ الأنبياءِ متجاوزةٌ للخوارق؛ فهي لا تكونُ إِلَّا من عندِ اللهُ، أي: إِنَّ معجزاتِ الأنبياءِ جميعها ليست بأيديهم وإنْ تمت بها، كما هو حال معجزةِ النبي نوح -عليه السّلام- الذي صنعَ الفُلكَ (المعجزة)؛ مصداقًا لقوله تعالى: {فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا} ⁷³، ومن ثمّ فالمعجزة وإن ارتبطت بنبيٍّ فهي ليست من عنده؛ ولهذا تختلف عن الخوارق التي ترتبط بمن يخترق دائرة غير المتوقع فيضيف للعلم جديدًا، مع العلم أَنَّ الخوارق وإن عَظُمَت لن تبلغ دائرة الإعجاز التي لا يبلغها إِلَّا نبي.

ولأَنَّ المعجزة لا تكونُ إِلَّا من عندِ اللهُ بعث اللهُ الأنبياءَ والرُّسُلَ؛ ليُظهرَ على أيديهم المعجزاتِ الكاسرة للأوهام، التي قيدت عقول النَّاسِ وجعلتهم يتخذون من دونه آلهةً وأربابًا.

ومع أَنَّ العموم يعتقد أَنَّ معجزاتِ الرُّسُلِ من أيديهم، فَإِنَّ الخصوص يعرفون أنَّها من عندِ اللهُ؛ ففي الوقت الذي يقول فيه العموم: إِنَّ القرآنَ معجزةُ سيدنا مُحَمَّدٍ -عليه الصّلاة والسّلام- يقول الخصوص: وكذلك التوراة معجزةُ النبي موسى، والإنجيل معجزةُ النبي عيسى، والزبور معجزةُ النبي داود -عليهم الصّلاة والسّلام- وفوق ذلك نقول: هذه الرِّسالات المعجزة تنزّلت

73 المؤمنون: 72.

على أقوام، وشعوب، وأمم، وكافة، أمّا معجزات الأنبياء الخاصة فأعظمها معجزة نبي الكافة (محمد)؛ لأنها معجزة حجة باقية، أمّا معجزات الأنبياء الذين سبقوه فجميعها -على عظمتها- معجزات حسنة مؤقتة في الوقت الذي فيه معجزة سيدنا محمد عقلية دائمة باقية، إنها معجزة: (اقرأ).

(اقرأ): التي في لحظة نطقها نسخت في حينها الأمية وعتمتها من عقل النبي محمد، فانجلت الظلمة بنور النبوة، وأصبح العقل الذي كان لا يدرك إلا المشاهد والمحسوس عن قرب، يدرك عن وعي تلك العلاقة المعجزة بين السماوات والأرض.

ومع أنّ كلمة: (اقرأ) كلمة آمرة لا تُقال إلا لمن يعلم، ليقراً ما يعلمه أو يعرفه، فإنّها بالنسبة إلى سيدنا محمد قيلت له من العليم الذي يعلم أنّه ليس بقارئ، ومع ذلك قالها له ليقراً؛ إذ أرسل الله إليه رسوله جبريل ليبلغه بالأمر: (اقرأ)؛ فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، اقرأ، ما أنا بقارئ، اقرأ، ما أنا بقارئ⁷⁴، فقال: {اقرأ باسم ربك الذي خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم}. فقرأ باسم ربه (بسم الله)، ولأنّ الله أمره أن يقرأ باسمه فكيف لا يقرأ!!

ومن ثمّ ألا يكفي النبي معجزة أنّ الله قد أمره أن يقرأ المعجزات باسمه تعالى، وهو يعلم أنّه لم يكن بقارئ، فلو كان محمد قارئاً وأمر أن يقرأ

74 حافظ ابن أحمد ابن علي الحكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، الدمام:

1990م، دار ابن القيم، ص 1053.

المعجزات فلا إعجاز، ولكن الإعجاز أن يقرأ المعجزات وهو لم يكن بقارئ،
ولأنَّ أمر (اقرأ) أمر (كُن) فكان محمَّد الذي لا يعرف القراءة والكتابة قارئاً.

ولذا فإنَّ القراءة كانت بالفعل (كُن) الذي جعل من الفعل (اقرأ)
على لسان محمَّد فعلاً مفعولاً، إنَّها القراءة باسم الله، وليست القراءة باسم
محمَّد؛ ولأنَّها باسم الله؛ فلا مُعجز أمام محمَّد أن يتكلَّم باسم الله كلِّما نزلت
عليه آية أو سورة من القرآن وفقاً لمشيئته تعالى.

إنَّها بحقِّ معجزة؛ إذ انتهت معجزات الأنبياء والرُّسل جميعها، وبقيت
معجزة النبي محمَّد -عليه الصَّلَاة والسَّلَام- باقية، فمن شاء أن يقرأ كلام
الله فلا يجده إلاَّ بقراءة محمَّد (بسم الله) في كتاب الله.

(واقراً) لم تكن أمر أرض، بل كانت أمراً من السَّماء، فلو كانت أمر
أرضٍ ما قرأ محمَّد؛ لأنَّه أمِّي، ولأنَّها أمرٌ من السَّماء فقرأ محمَّد بسم الله ما
جاء من السَّماء، وهذه عظمة المعجزة.

وعليه: فإنَّ معجزة النبي محمَّد (اقرأ) جاءت لتخاطب العقل،
وتكسر وهم أميَّته، التي فتحت لها مدارس بلا مدرسين، والمنتسبون إليها
يُعلِّمون بلا علم، وتقدَّست فيها الآلهة بلا مُقدَّس. فكانت (اقرأ) نبراس
هداية من الله الذي تعدَّد صفاته وهو الواحد الذي لا يتعدَّد.

اقرأ، هي معجزة محمَّد العقليَّة التي تخاطب العقل، وتُكسر الوهم،
وتطمئن النَّفس، وتُحدثُ النُّقلة من الأميَّة إلى العلم، ومن الجهل إلى المعرفة،
ومن الشرك إلى الواحديَّة، ومن الكفر إلى الإيمان.

ولأنَّ (اقرأ) جاءت لرَسُول الكافَّة أمرًا مفعولًا (كن قارئًا طائعًا)؛ فبقيت للكافَّة فعلًا مأمورًا: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولَ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ} 75؛ ولأنَّ الله يعلم أنَّ الرَّسولَ مُحَمَّدًا يعلمُ قال: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولَ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا)؛ ذلك لأنَّ الله -تعالى- لا يمكن أن يُعطي أمره لمن يجهل أمره؛ ولهذا فعندما قرأ مُحَمَّدٌ باسمِ رَبِّهِ بارَكَه رَبُّهُ والملائكة بالصَّلَاةِ عليه، ثمَّ أمر اللهُ المؤمنينَ بمباركةِ النبيِ مُحَمَّدٍ والتسليمِ عليه، بقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} 76، وهذه الآية الكريمة تدلُّ على الاعتراف بالمعجزة (رسالة الكافَّة)، وبالأمر المعجز (اقرأ)، والمباركة والتسليم لصاحب المعجزة (مُحَمَّد) الذي قرأ ساعة الأمر بالقراءة وهو لم يكن بقارئ.

وأضيف: إنَّ صلاةَ اللهِ والملائكة على النبي مُحَمَّدٍ هي الأخرى معجزة من المعجزات التي وهبها اللهُ -تعالى- للنبي مُحَمَّد، أي: ألا يكفيهِ معجزة أنَّ اللهُ وملائكته يصلون عليه، وأنَّ اللهُ أمر الكافَّة أن تصلِّي وتسلم عليه؟ نعم، إنَّ: (الصَّلَاة والسَّلَام على سيدنا مُحَمَّد) مُعجزة باقية مع معجزة: (اقرأ) إلى يوم يبعثون.

وأضيف أيضًا: أنَّ الصَّلَاة والسَّلَام على سيدنا مُحَمَّد تشمل الصَّلَاة والسَّلَام على جميع الأنبياء والرُّسل صلوات اللهُ وسلامه عليهم؛ ذلك لأنَّنا لا نفرِّق بين أحدٍ من رُسله؛ مصداقًا لقوله تعالى: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ

75 الحشر: 7.

76 الأحزاب: 56.

إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ
مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} 77.

وفي المقابل مع أنَّ للأنبياء والرُّسل كافة معجزات فإنَّها جاءت مادِّيَّة،
ومؤقَّتة فلم تبق على قيد الحياة إلَّا ذكرًا معظَّمًا؛ حيث كان سجود الملائكة
لآدم؛ اعترافًا بنبوته وطاعة لأمر الله (سجودًا لم يتكرَّر)، وكان رفع النبي
إدريس عليًّا معجزة، وليس لنا منها إلَّا التعظيم: {وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا} 78،
وصُنعت السفينة المعجزة على يدي النبي نوح آية ودرسًا، وكانت الناقةُ
المعجزة على يد النبي صالح آية ودرسًا، وكانت النار المعجزة على النبي إبراهيم
بردًا وسلامًا، وكان الكبش المعجزة آية فداء للنبي إسماعيل، وكانت إلانة
الحديد آيةً للنبي داود مع استجابة الجبال والطَّير، وكانت السيِّطرة على الجنِّ
ومعرفة منطق الطَّير من معجزات النبي سليمان، وكانت العصا آية بيد النبي
موسى كاسرة لأوهم السَّحرة وأوهم فرعون، ومن وهم من خلفهم، وكانت
الولادة من دون أبٍ والكلام في المهد معجزة من معجزات النبي عيسى التي
حُتِّمت برفعه إلى السَّماء كما رُفِع النبي إدريس عليهما وعلى جميع الأنبياء
والرُّسل الصَّلَاة والسَّلَام.

هذه بعض معجزات الأنبياء والرُّسل الكرام، وإنَّها لمعجزات عظيمة
وهي كثيرة، ومع أنَّها على الكثيرة المباركة، فإنَّها كانت مؤقَّتة، ومادِّيَّة
محسوسة، وجميعها بأمر الله وفعله، ولا شيء منها بأيديهم ولو كانت عليها.

77 البقرة: 285.

78 الأنبياء: 57.

أما معجزة الرسول محمد فكانت (الكلمة)، التي تخاطب العقل والقلب والنفس وتغيّر الأحوال، وتحدث النقلة، وتحقق الرفعة، وبها يصبح الأمي عالماً، والكافر مؤمناً.

وعليه فإنّ الكلمة التي بها كُسر وهم الأمية لا يمكن أن يكون صاحبها من بعدها أمياً؛ مصداقاً لقوله تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} 79.

إذن: فالرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- كما جاء في الآية السابقة يتلو القرآن؛ ولأنه كذلك فلا يليق بنا أن نصفه بأنه أمي، أي: هل يحق لنا أن نصف من يتلو القرآن بأنه أمي؟! ثم أليق بنا أن نصف من يُزكى ويُعلم المسلمين والمؤمنين الكتاب والحكمة بأنه أمي؟! أي: كيف نقبل أن يوصف المعلم بالأمي ويوصف المتعلم على يديه بالعالم؟!!

ومن ثمّ وجب علينا أن نتمييز بين مفهومي: علم التوحيد، وعلم المعارف المتنوّعة؛ فعلم التوحيد علم يقين، وتقابله الأمية فيكسر وهمها: {وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} 80، أمّا علم المعارف المتنوّعة في دائرة النسبية، فيقابله الجهل فيكسر وهمه، مصداقاً لقوله تعالى: {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} 81.

79 الجمعة: 2.

80 النمل: 75.

81 الاسراء: 85.

الصَّلَاةُ والتسليم على النَّبِيِّ:

الصَّلَاةُ فعل رحمة تتحقَّق من الله على عباده المؤمنين، ولا صفة للصَّلَاة إِلَّا الصَّلَاةُ ذاتها؛ فهي من الله مرضاة على خلقه، وخير خلقه: الأنبياء والملائكة، والمؤمنون الصَّديقون الطَّائعون، أمَّا الصَّلَاةُ من الملائكة فهي صلاة العاملين على الأخذ بالأمر طاعة: {لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِه يَعْمَلُونَ} 82، وأمَّا صلاة النَّبِيِّ على المؤمنين فهي طمأنة قلبية يسكن القلب إليها: {وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ} 83، وفي المقابل صلاة المؤمنين على النبي صلاة مباركة به ومباركة عليه؛ ولهذا فهم بالصَّلَاةِ عليه يسلمون تسليماً استجابة لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} 84.

الصَّلَاةُ شَيْئًا:

إِنَّ الصَّلَاةَ لو لم تكن شيئًا ما تحدثنا عنها، ولو لم تكن وجودًا ما كان الإيمان بها وإقامتها؛ ولأنَّها شيء يقام ويتخذ رحمة؛ فهي ذات الأثر الموجب على الأنفس والقلوب والعقول المؤمنة، قال تعالى: {وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ} 85، أي: رضاك عليهم يجعلهم مطمئنين آمنين، فصلِّ عليهم (ارضَ عليهم).

82 الأنبياء: 27.

83 التوبة: 103.

84 الأحزاب: 56.

85 التوبة: 103.

ولأنَّ الصَّلَاةَ شيءٌ موجودٌ فلا تكون إلا بفعل فاعل (بخلق خالق)،
وخالق الشيء لا يمكن أن يكون شيئاً، ولا يكون لا شيء، ولا يكون شيئاً
آخر؛ فخالق المادة لا يمكن أن يكون مادة، وخالق الروح لا يمكن أن يكون
روحاً؛ فالخالق لا يكون إلا خالقاً: (الخالق يخلق ولا يُخلق)؛ ولهذا يصلي له
تضرُّعاً، ويؤخذ أمره تسليماً مطلقاً؛ ولذا فالصَّلَاةُ على النَّبيِّ مأمورٌ بها لأَنَّها:

. ترضي المصلِّي له.

. ترضي المصلِّي عليه.

. ترضي المصلِّي.

ومن ثمَّ: فصلاة الله على نبيِّه رضا عليه، وصلاة النَّبيِّ على المؤمنين
رضا عليهم، ومن هنا فالصَّلَاةُ لا تكون إلا شيئاً مرضياً، والشيء المرضي لا
يمكن أن يكون شيئاً مرضاة؛ لأنَّ الرِّضا لا يكون إلا محبَّةً، أمَّا المرضاة فلا
تكون إلا مجاملة، أو على الأقل فيها من المجاملة ما فيها، ومن هنا فالمرضاة
لا تُحقِّق الطمأنينة بقدر ما تشير إلى عدم الاقتناع التَّام بالفعل المتخذ مرضاة.

الصَّلَاةُ مَفْعُولَةٌ:

إنَّها المفعولة من الله تعالى على أنبيائه، ولأنَّها المفعولة من الله جلَّ
جلاله؛ فقد فُعلت من الملائكة صلاة على النَّبيِّ؛ (استجابة لصلاة الله عليه)
قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ }⁸⁶ أي: إنَّ الله يعظِّم نبيِّه،
والملائكة الطَّائِعُونَ يصلُّون على النَّبيِّ؛ طاعة لصلاة الله عليه، وبما أنَّ فعل

التعظيم والرّضا متحقّقان على النّبي من الله وملائكته فلم لا يتحقّقان عليه من قبل من يؤمن بالله وملائكته؟

الصَّلَاةُ تُفَعَّلُ:

الصَّلَاةُ تَفَعَّلُ اسْتِجَابَةَ كَمَا فُعِلَتْ مِنْ قِبَلِ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا ذَاتِيًّا مَعَ صَلَاةِ اللَّهِ عَلَى النَّبِيِّ فَصَلُّوا عَلَيْهِ، وَتُفَعَّلُ مِنْ قِبَلِ الَّذِينَ فُعِلَتْ عَلَيْهِمُ (الأنبياء، والمؤمنين الصّالحين) أي: إِنَّ النَّبِيَّ يَصَلِّي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ؛ مُصَدِّقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: { وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ }⁸⁷، وَالْمُؤْمِنُونَ بِدَوْرِهِمْ يَصَلُّونَ عَلَيْهِ وَيَسَلِّمُونَ تَسْلِيمًا طَاعَةً لِلْأَمْرِ: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا }⁸⁸، أي: فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنَالَ رِضَا اللَّهِ فَلْيَصَلِّ عَلَى مَنْ رَضِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ (عَلَى النَّبِيِّ)، وَهَذَا يَعْنِي: لَنْ يَنَالَ أَحَدٌ رِضَا اللَّهِ تَعَالَى مَا لَمْ (يَصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ) فَصَلُّوا عَلَيْهِ أَيُّهَا الْعِبَادُ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا.

الصَّلَاةُ تُقَامُ:

إِقَامَةُ الصَّلَاةِ إِعْلَانُ تَوْحِيدِ اللَّهِ، وَاتِّبَاعُ سُنَّةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَمُبَارَكَتُهُ، وَتَعْظِيمُ شَأْنِهِ كَمَا عَظَّمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَتَقَامُ قَوْلًا وَتُفَعَّلُ، وَهِيَ مِثْلُ الشَّهَادَةِ يَنْطِقُ بِهَا اعْتِرَافًا، وَتَوْدَدِي عَمَلًا (إِقَامَةُ صَلَاةٍ)؛ وَتَأْخُذُ مَعَانٍ مِنْهَا:

الأوّل: الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ اللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ.

الثاني: الصَّلَاةُ لِلَّهِ تَعَالَى مِنْ خَلْقِهِ الطَّائِعِينَ.

87 التوبة: 103.

88 الأحزاب: 56.

الثالث: الصلاة على المؤمنين من الله وملائكته؛ مصداقاً لقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا }⁸⁹

الرابع: الصَّلَاةُ مِنَ النَّبِيِّ عَلَى مَنْ أَحْسَنَ قَوْلًا وَفِعْلًا وَعَمَلَ صَالِحًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ { وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ }⁹⁰.

الخامس: صلاة المؤمنين على النبي؛ مصداقاً لقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا }

السادس: الصَّلَاةُ لِلَّهِ عِبَادَةً؛ إِنَّمَا مَصْدَرُ الْمَحَبَّةِ، وَمُظْهَرُ الطَّاعَةِ، وَمُبَارَكَةُ الْحَيَاةِ، وَهِيَ الْمُمْكِنَةُ مِنَ الْإِرْثِ فِي الدَّارَيْنِ؛ فَتَقَامُ إِقَامَةً فَرَضٍ كَمَا أَقَامَهَا النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (فَحَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ).

أوجه الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ

. اللَّهُ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ:

إِنَّ صَلَاةَ اللَّهِ عَلَى النَّبِيِّ لَيْسَتْ دَعَاءً، بَلْ مُبَارَكَةٌ؛ مَصْدَقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: { إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ }⁹¹ مع أَنَّهُ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ) فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُجْمَعُ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا، أَي: خَالِقُ الشَّيْءِ لَا يُمْكِنُ

89 الأحزاب 41- 43.

90 التوبة 103.

91 الأحزاب 56.

أن يكون شيئاً؛ ولهذا فلا يُجمع، ممّا يجعل الضمير الجمعي يتعلّق بالملائكة وخدمهم؛ كونهم (جمع ملك)؛ فقولُه: (إنَّ الله) تخصّ الخالق الذي بارك النَّبي (صلى عليه) في خَلْقِه وعلى خُلُقِه.

ولأنَّ خالق الشيء لا يمكن أن يكون شيئاً فلا إمكانية لخلق الشيء شيئاً إلاّ مشيء، وحتى إنَّ عُدنا لذلك التّساؤل الذي كنّا نطرحه على أنفسنا أعوام الدراسة الإعداديّة والثانويّة، وهو:

من الذي خلق الخالق؟ وكيف كان قبل أن يخلق ما خلق؟

أقول:

بما أنّنا نقول: الخالق، إذن؛ فلا ينبغي أن نسأل عمّن خلق الخالق؟

أي: كيف لنا من زاوية نقول الخالق، ومن زاوية أخرى نسأل عنه؟

إنّ الخالق الذي يخلُق ولا يُخلق، ومن ثمّ؛ فكلّ شيء يُخلق فهو ليس بالخالق؛ ولذا فلا فواصل بين الخالق وخالقه؛ فالخالق ليس على الصّورة ليكون موجوداً قبل أن يخلق الخلاق؛ ولذلك فالسؤال ليس في محلّه؛ لأنّ السّائل جعل في ذهنه هيئة للخالق، وهنا تكمن العلة؛ إذ لا هيئة للخالق، بل له مشيئة، والمشيئة هي فعل المستحيل، والتفكير في الفعل المستحيل يجعل السّائل في حيرة من أمره بعلّة في نفسه وهي: اختلاط فكرته عن الخالق الذي لا يُصوّر بما هو على هيئة الصّورة، وبالتالي فمن يتصوّر لله هيئة يجعله وكأنّه داخل الإحاطة، ومن يفكّر داخل الإحاطة؛ فتفكيره لا يزيد على كونه تفكير كتكوت داخل البيضة الذي لا إمكانية له في رؤية عالم أعظم من عالمه داخل البيضة؛ ولذلك فهية الله بلا هيئة، وصورة الله بلا صورة.

ومن هنا؛ فنحن غير عاجزين عن معرفة الله، ولا يليق بنا أن نسأل عمّن بيده الأمر (كن): كيف كان؟

نعم، الله (لم يكن) حتى نسأل عنه كيف كان، فمثل هذا السؤال يتعلّق بمن لم يكن فكان؛ كما هو حال الكون الذي كما يقولون عنه كان نتاج ذلك الانفجار العظيم سبباً، وكما هو حال الأزواج التي لو لم تكن الأرض كائنة ما خلقت منها الأزواج سبباً، وغيرها كثير من الخلائق التي قبل خلقها لم تكن بخلائق.

ولذلك؛ فلا ينبغي أن يكون السؤال: كيف كان الله؟

بل ينبغي أن يكون السؤال:

. من هو الله؟

. ما هي صفاته؟

فالله هو الذي يُسمّى بهذا الاسم، وهو الذي لم يكن كائناً حتى يسأل عنه كيف كان؛ ولذلك فالكائن لا يكون إلا على هيئة يراد له أن يكون عليها فيكون. ومن ثمّ فأبدي كائن لا يكون إلا على هيئته، ووفق مشيئة ليست بيده، ومن هنا؛ فنحن ندرك الكون علمًا، ولكننا لا ندرك هيئته، وكيف لنا بهذا ونحن لم ندرك صورة الكون متكاملة؟

أي: كيف لنا بهذا، ونحن داخل محيط الكون الذي لم نتمكن بعد من الخروج عنه بأيّ سببٍ، ومع ذلك يمكن لنا أن نتصوّر الكون باعتبارنا جزيئًا فيه، أو حتى إنّنا أقل من ذلك بكثير، أمّا الخالق فهو على غير هيئة؛

كونه على غير صورة، ومن ثمّ لا إمكانية لوضعه في أيّ هيئة ذهنية، ولا يليق بعقولنا ومدركاتنا التي أدركته استحالة أن تجعله على هيئة أو صورة وهو لم يضع نفسه فيها؟

ومن ثمّ؛ فالله يخلق غيره، وغيره لا يخلقه، وبالعودة إلى السؤال: كيف كان الله؟

. فالله لا يكون.

ومن هنا، فالسؤال لا علاقة له بمن يُسأل عنه، بل له علاقة بالسائل، الذي لا يعرف من كينونته إلّا أنّه من نطفة، ومن قبلها من تراب، ولا شيء غير ذلك، ومع ذلك يسأل: كيف كان خالقه؟

أي: ألا يكفي إجابة أنّه يعلم عجزه عن معرفة كيفية خلقه التي ليس له رأي فيها؟ ويسأل عن كيف كان الله؟

أقول:

عليك بالبحث في الكون بلا توقّف؛ لعلك تعرف: كيف خُلق، وكيف كانت له هيئة قبل أن يُخلق؟ ووفق أيّة مشيئة هو خُلق؟ وكذلك عليك بالبحث في نفسك؛ لعلك تعرف: كيف خُلقت؟ وكيف كانت لنفسك هيئة قبل أن تُخلق؟ ووفق أيّة مشيئة هي خلقت؟ وعليك أن تفكّر فيما تفكّر فيه قبل أن تتكلّم وتقرّر أو تعمل؛ فإن فعلت ذلك عن وعي لا

شكَّ أنَّك ستدرك أنَّ صفات الله تتعدَّد بتعدُّد نعمه، وهو الواحد الذي لا يتعدَّد⁹².

وعليه:

فالخالق خَلَقَ وَيَخْلُقُ، وَعَظَّمَ وَيُعَظِّمُ، وَبَارَكَ وَبِيَّارِكُ؛ ولأنَّ الله بارك النَّبِيَّ (عَظَّمَهُ)، فَصَلَّى الملائكة عليه مباركة به، والصَّلَاةُ هنا ليست ركوعًا ولا سجودًا، بل تسليمًا بالنَّبِيِّ المبارك في خَلْقِهِ واصطفائه؛ لأنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ خُلِقَ على الحمد خَلْقًا؛ أي: إِنَّ مُحَمَّدًا اسمًا وصفةً متطابقان من حيث:

. مُحَمَّد:

اسم النَّبِيِّ مُحَمَّد عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ اسم موصوف بما مُحَمَّد به من الله تعالى؛ ممَّا جعل الاسم مُحَمَّدًا في حالة تطابق تام مع الصِّفَةِ في الموصوف، وهذه من خصوصيَّات اسم النَّبِيِّ عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ، فصار الاسم هو عين الصِّفَةِ، والصِّفَةُ هي عين الموصوف.

ومُحَمَّدٌ تدلُّ على أَنَّهُ مُحَمَّدٌ في خَلْقِهِ، وَخُلِقَهُ، وَذَاتَهُ، فَهُوَ على ما هو عليه موصوف بما يُمَجِّدُ، وَيُخَلِّدُ، وَيُعَظِّمُ.

وجاءت صفة التَّحْمِيدِ لسيِّدنا مُحَمَّدٍ معظِّمةً للموصوف بما يُحْمَدُ به ويُحْمَدُ عليه؛ ولهذا كان التطابق بين الصِّفَةِ والموصوف في اسمه مُحَمَّدٌ الذي يدلُّ على أَنَّهُ مُحَمَّدٌ من الله تعالى تَحْمِيدًا، أي: إِنَّهُ قد خُلِقَ على الحمد

92 عقيل حسين عقيل، من معجزات الكون (الخلق . النشوء . الارتقاء) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016، ص 278.

خلقاً؛ ولذلك كان لاسم محمد مفهومً مرتكزه (الحمد) الذي خلق عليه
محمد خلقاً.

وعليه:

لقد كان النبي الكريم عليه الصلاة والسلام محمدًا بتسمية الله له،
أي: إنَّ الله هو الذي سمى النبي (أحمد) في اسمه وهو (محمد) في تطابق
الاسم صفة وموصوفًا، وهو محمد بالرسالة التي اصطفاه الله لها رسولًا خاتمًا
وللناس كافة، قال تعالى: { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ } 93، أي: أعظم صفة
لمحمد هي: (رسول الله وخاتم النبيين)، وبالتالي لا يدعى إلا بها.

ومع أنَّ لمحمد عليه الصلاة والسلام أولادًا صغارًا، وهم: عبد الله،
وإبراهيم، وأبو القاسم (الذين لم يبلغوا عمر الرجال) فإنَّ محمدًا لم يكن أبًا
أحدٍ من الرجال؛ مصداقًا لقوله تعالى: { مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ
وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا } 94، ومن ثمَّ:
فلا صفة لمحمد إلا محمد (رسول الله)، أمَّا الأبوة فالغالبية تدعى بها.

ولأنَّه محمد من الله تعالى فقد أنزل عليه الحق الذي به كفر سيئات
المؤمنين، وأصلح بالهم، قال تعالى: { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا
بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ } 95.
ولأنَّ النبي محمدًا مسمًى من عند الله محمدًا (تطابق الاسم والصفة)،
وهذا المسمًى الكريم يختلف عمَّن سمي محمودًا؛ لأنَّ المحمود لا يكون محمودًا

93 - آل عمران 144.

94 - الأحزاب 40.

95 - محمد 2.

إِلَّا مِنْ قَبْلِ النَّاسِ الَّذِينَ ارْتَأَوْهُ عَلَى خُلُقٍ حَمِيدٍ فَوْصَفُوهُ بِهِ مَحْمُودًا، أَمَّا مُحَمَّدٌ فِي مَفْهُومِهِ اسْمٌ وَصِفَةٌ؛ لِأَنَّهُ خُلِقَ عَلَى الْحَمْدِ خَلْقًا، وَهَذِهِ لَا تَكُونُ إِلَّا مَبَارَكَةً مِنَ الْخَالِقِ عَزَّ وَجَلَّ وَرِضًا مِنْهُ؛ وَلِهَذَا فَصَلَاةُ اللَّهِ عَلَيْهِ كَانَتْ فِي خَلْقِهِ فَأَصْبَحَ نَبِيًّا مَصْلَى عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِ خَالِقِهِ.

الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ فِعْلٌ مُسْتَمِرٌّ:

قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} ⁹⁶، قال: (يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ) ولم يقل: (صلوا على النبي) وهذا يعني: أَنَّ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَاةٌ مُتَّصِلَةٌ (غير منقطعة) ولن تنقطع؛ ولهذا يجب أن يلتحق العباد بالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى النَّبِيِّ.

ولأنَّ الصَّلَاةَ مِنَ اللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ دَائِمَةٌ غَيْرُ مَنْقُوعَةٌ؛ مُصَدِّقًا لِقَوْلِهِ: (يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ) التي أنزلت بصيغة الاستمرار ولم تأتِ تنزيلاً بصيغة الماضي، التي لو جاءت به لكان القول: (صلوا على النبي)، وليس ((يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ)). ألا يكفي أن نقول: إِنَّ مَعْجِزَةَ مُحَمَّدٍ أَنَّ اللَّهَ اللَّهُ وَمَلَائِكَتِهِ يَصَلُّونَ عَلَيْهِ دَائِمًا أَبَدًا؟ أي: هل هناك ما هو أعظم من أن يصلي الله وملائكته على النبي صلاة باقية دائمة لا تنقطع.

نعم إنها أعظم معجزة مع معجزة (اقرأ) التي سبق لنا الكتابة عنها.

ولذا فقد جاءت صلاة الملائكة إيمانًا بالمبشَّرِ بِهِ نَبِيًّا قَبْلَ أَنْ يُرْسَلَ نَبِيًّا؛ وَلِهَذَا جَاءَ قَوْلُهُ: يَصَلُّونَ عَلَيْهِ فِعْلٌ مُسْتَمِرٌّ، وَلَمْ يَأْتِ مَاضِيًّا؛ مُصَدِّقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا} ⁹⁷. ومع أنّ كلمة (يصلُّون) مضارعة فإنَّ مفهومها في هذه الآية الكريمة يدلُّ على أنّ الصَّلَاةَ على النَّبيِّ تحصيل حاصل؛ كونه في علم الله متحقِّقًا من خالقه تعالى، فيجب أن يباركه خلقه؛ لأنَّهم هم الذين في حاجة للصَّلَاة على النَّبيِّ؛ لأنَّهم بالصَّلَاة عليه ينالون صلاة الله وملائكته الذين يصلون عليه، أي: ينالون رضا الله ومباركة الملائكة، ومن ثمَّ رضا الرَّسول عليهم؛ فالرَّسول الذي يصلِّي الله عليه، لم يعد في حاجة لمن يصلِّي عليه، ولكن المصلِّي عليه في حاجة لأن يصلِّي على النَّبيِّ إذا أراد نيل مرضاة الله، قال تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} ⁹⁸، أي: فمن يرغب الهداية فعليه بالصَّلَاة والسَّلَام على النَّبيِّ؛ الذي بالصَّلَاة والسَّلَام عليه ينال رضا الله الذي يصلِّي على المؤمنين {وَمَنْ لَمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا} ⁹⁹ يفهم من هذه الآية الكريمة أنّ الإيمان بالله (توحيده)، وأنَّ الإيمان بالرَّسول (الصَّلَاة والسَّلَام عليه)؛ لأنَّ الصَّلَاة والسَّلَام عليه لا يقتصران على القول اللساني، بل يتعدَّيانه إلى الإيمان القلبي الذي يُمكن من الأخذ بالأمر الذي جاء به محمَّد رسولًا للكافة.

97 الأحزاب: 56.

98 الأعراف: 158.

99 الفتح: 13.

الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ذَكَرَ اللَّهُ:

ومن هنا فالمؤمن لا يمكن أن يكون مؤمناً ما لم يصلِّ ويسلم على النبي؛ ولهذا فلا داعي للغفلة التي تلهي العباد عن طاعة أمر خالقهم؛ لأنَّ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ فِيهَا ذَكَرَ اللَّهُ، وتمجيداً لصلاته على محمد الذي أمر بالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ؛ ولذلك فقول المؤمن: (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى النَّبِيِّ) فيها ذكر الله (اللَّهُمَّ) الذي يجب أن يذكر كثيراً؛ مصداقاً لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا} ¹⁰⁰، ومن ثمَّ فبالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى مُحَمَّدٍ يَنَالُ الْمُؤْمِنُ صَلَاةَ اللَّهِ عَلَيْهِ.

ولأنَّ مفهوم كلمة النبي لا تحديد ولا قيد عليها فهي مفهوم يتعلَّق بأبي نبيِّ، ولكنَّ التنزيل وفقاً للآية السابقة يتعلَّق بالنبي محمد عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وهو المبتشَّرُ به؛ مصداقاً لقوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ} ¹⁰¹.

خطاب البشري من الله تعالى موجَّه إلى بني إسرائيل، والبشير هو عيسى ابن مريم عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، والمبتشَّرُ به هو أحمد رسول الله من بعد عيسى عليهما الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ ولذا فمن الأولى أن يكون بنو إسرائيل

100 الأحزاب 41 - 43.

101 - الصف 6.

هم أول المؤمنين المسلميين والمتبعين للرَّسُول الخاتم المبشَّر به في زمن عيسى (المسيح ابن مريم).

ولأنَّ البشري دائماً تسبق المبشَّر به، فكان عيسى عليه الصَّلَاة والسَّلَام هو أول مؤمن بالنبي محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أي: كان مؤمناً به نبياً ورسولاً قبل أن يُخْلَق؛ تصديقاً لأمر الله الذي أمره به ليُبشِّر به قومه، ولتكون البشري سارية المفعول عبر الزَّمن إلى أن يُخْلَق ويُبعث المبشَّر به (أحمد رسول الله) في الزَّمن الذي حُلق من أجله.

ولذا فالبشري بمحمَّد رسولاً قبل أن يُخْلَق أجداده وأبواه هي مُعجزة في ذاتها، فالبشري به لا تماثلها بشري فيما علمنا من علم الله تعالى، فالجنة المبشر بها المؤمنون مخلوقة؛ مصداقاً لقوله تعالى: {وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَوسَّوسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوَآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ قَالَ فِيهَا تَحْيُونَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمُ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا

لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا} 102، وكذلك النَّارُ الْمُبَشِّرُ بِهَا الْكَافِرُونَ مَخْلُوقَةٌ؛
مُصَدِّقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ
لِلْكَافِرِينَ} 103، وقوله تَعَالَى: {وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} 104؛
ولهذا فكل المؤمنين يسعون ويعملون من أجل بلوغ الجنة، وفي المقابل سيكون
الكافرون والمشركون حطب جهنم.

وعليه:

فالذين لم يؤمنوا بمحمد نبيًا ورسولًا خاتمًا هم الذين لم يأخذوا بما
بشَّروهم به نبيهم عيسى عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ومن لم يؤمن بما بشَّروهم به
نبيهم المسيح عيسى ابن مريم لا يُعد من الآخذين بما جاء به عيسى عليه
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ وذلك لعدم أخذهم بما بشَّروهم به، فإن كانوا مؤمنين حقًا
بعيسى وبما جاءهم به من رسالة من الله فعليهم بأخذ ما جاءهم به مبشِّرًا،
ويصلُّوا عليه ويسلِّموا تسليماً؛ ولذلك نقول: التوراة وحدة واحدة، والإنجيل
وحدة واحدة، والقرآن وحدة واحدة فلا يؤخذ بجزء ويترك الجزء الآخر من
أَيِّ منها، فما جاء به عيسى من إنجيل لا يؤمن به إلا من آمن به وحدة
واحدة، ومن يؤمن به وحدة واحدة لا يترك جزءًا منه غير مؤمن به، فإن
كان الإيمان بالحق حقًا فلا يحقُّ لأحدٍ أن يجزئ الحقَّ كما يتراءى له حيادًا
عنه.

102 - الأعراف: 19 - 27.

103 - البقرة: 24.

104 - آل عمران: 131.

ولأنَّ أهل الدِّيانات السَّماوية مسلمون، فلا يحقُّ لهم أو لبعضهم أن يؤمنوا بالله وينكر جزءاً من أمره تعالى، أي: إنَّ المبشِّر هو الله، والبشير هو عيسى ابن مريم، والمبشَّر به هو محمَّد رسول الله، فكيف يؤمن البعض بالمبشِّر والبشير ولا يؤمن بالمبشَّر به (أحمد)؟ فهل هذا شكٌّ في المبشِّر؟ أم شكٌّ في البشير؟

فإن كان شكًّا في المبشِّر (الله تعالى) فلا داعي أن يتمَّ الإيمان بالبشير (عيسى ابن مريم)، وإن كان شكًّا في البشير، فكيف يتمَّ الإيمان بجزء ممَّا جاء به والكفر بجزئه الآخر الذي لا يتمَّ الإيمان إلَّا به؟

ولأنَّ البُشرى خير فكان عيسى ابن مريم بشير خير، والمبشَّر به هو الخير في صفاته وأقواله وأفعاله وأعماله، وسُنَّته ورسالته التي اصطفاه الله لها رسولاً ينبغي الصَّلَاة والسَّلَام عليه والتسليم به.

مفاهيم الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ:

من حيث المنطق ينبغي أن يتطابق المفهوم مع اللُّغة، ومن حيث الاستخدام نجد اختلافاً، وهنا يظهر اللبس الذي يستوجب البحث الموضوعي، وتصويب المتقاطعات فيما يتعلَّق بالصَّلَاة والسَّلَام عَلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاة والسَّلَام من حيث:

. المفهوم الأوَّل، القول بأنَّ الله صلى على النَّبِيِّ، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ)، فمع أنَّ القول جاء (صَلَّى اللهُ عَلَى النَّبِيِّ)، ولكن نصّاً قرآنيّاً جاء: (يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ) ولم يقل: (صَلُّوا)؛ ولهذا مفهوماً ينبغي أن نقول: (الله يصليُّ على النَّبِيِّ) أو (يصليُّ اللهُ على النَّبِيِّ) ولا نقول:

(صَلَّى اللهُ عَلَى النَّبِيِّ)، لِأَنَّ الصَّلَاةَ الْأُولَى مُتَّصِلَةٌ (مُسْتَمِرَّةٌ)، أَمَّا الثَّانِيَةُ فَمُنْفَصِلَةٌ (مَاضِيَةٌ) أَي: مُنْتَهِيَةٌ، وَهَذَا لَا يَجُوزُ؛ لِأَنَّ الْمَاضِيَ يَدْخُلُ اللهُ فِي الزَّمَنِ، أَمَّا الْإِسْتِمْرَارِيَّةُ فَلَا تَرَاهُ إِلَّا بَاقِيًا وَمُحِيطًا (يَحِيطُ وَلَا يُحَاطُ).

وعليه:

عندما نقول: صَلَّى اللهُ عَلَى النَّبِيِّ، فنحن نخبر عن صلاة الله على النبي وكأننا الشهود عليها مع أننا لسنا كذلك.

وفي المقابل لو قلنا: (الله يصلي على النبي) فنحن نقر بما أعلمنا به من عند الله (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ).

. المفهوم الثاني: قول: (اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ) قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا }¹⁰⁵، فهذا القول (اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ)، مفهومه دعاء الداعي الذي يدعو الله أن يصلي على النبي، وبدعائه هذا وكأنه لم يعلم أن الله يصلي على النبي، ومع أنه يعلم فإنه يدعو بهذا الدعاء، وهنا لا أتحدث عن النية؛ فالنية لا شك أنها في اتجاه الدعاء في اتجاه آخر، ونحن هنا نريد أن نخاطب العقل؛ ليميز بين ما يُقال، وما يُضمر عليه، وينوي به.

إذن، قولنا: (اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ) فيه من أخطاء المفهوم ما فيه، من حيث:

. إِنَّ اللَّهَ لَا شَكَّ أَنَّهُ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ؛ ولهذا فدعاؤنا ليس في محله؛
لأنَّ اللَّهَ قَالَ نَصًّا إِنَّهُ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى
النَّبِيِّ).

. في دعائنا هذا ندعو اللَّهَ أَنْ يُسَلِّمَ تَسْلِيمًا عَلَى النَّبِيِّ فِي الْوَقْتِ
الَّذِي لَا يُمْكِنُ أَنْ يُسَلِّمَ فِيهِ الْخَالِقُ لِلْمَخْلُوقِ وَإِنْ كَانَ نَبِيًّا؛ ولهذا قَالَ تَعَالَى:
(إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ) ولم يقل: (وَيُسَلِّمُونَ تَسْلِيمًا)؛ لأنَّ أَمْرَ
التَّسْلِيمِ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ قَبْلِ مَنْ لَا يَسِيْطِرُ عَلَى الْمُسْتَحِيلِ وَالْمُعْجِزِ، وَلِأَنَّ
اللَّهَ هُوَ الْمُهَيْمِنُ وَالْمَسِيْطِرُ فَلَا تَسْلِيمَ، بَلِ التَّسْلِيمُ مِمَّنْ يَقِفُ عَاجِزًا أَمَامَ
الْمُسْتَحِيلِ وَالْمُعْجِزِ، وَهَذَا مِنْ قِصُورِ الْخَلْقِ أَمَامَ كَمَالِ اللَّهِ وَجَلَالِهِ، بِمَعْنَى:
يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ التَّسْلِيمُ مِنَ الْمَخْلُوقِ لِلْخَالِقِ تَعَالَى، وَلَيْسَ التَّسْلِيمُ مِنَ الْخَالِقِ
لِلْمَخْلُوقِ؛ وَمِنْ هُنَا تَغْيِبُ الْحُجَّةِ.

. الْمَفْهُومُ الثَّلَاثُ: قَوْلُ: (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ)، هَذَا الْقَوْلُ يَعِدُ أَخْذًا
بِالْأَمْرِ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)، وَهَذِهِ اسْتِجَابَةٌ
لِلْمَأْمُورِ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى النَّبِيِّ؛ فَعِنْدَمَا يُقَالُ لَكَ: (صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى
النَّبِيِّ) فَيَنْبَغِي أَنْ تَقُولَ: عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أَيْ: الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى
النَّبِيِّ.

أَمَّا عِنْدَمَا يُقَالُ لَكَ: (صَلِّ عَلَى النَّبِيِّ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا) وَتَقُولُ: (اللَّهُمَّ
صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ)، فَفِي مَفْهُومِ هَذَا الْقَوْلِ وَكَأَنَّكَ قَدْ أَحَلَّتِ الْأَمْرَ مِنْ
صَلَاتِكَ عَلَى النَّبِيِّ إِلَى اللَّهِ لِيُصَلِّ عَلَيْهِ نِيَابَةً عَنْكَ، أَيْ: بَدَلَ أَنْ تَقُولَ: (عَلَيْهِ

الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) قلت: (اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ) وهنا قد حَمَلت المفهوم ما لم يحمل من ثقل من حيث:

— إِنَّ اللَّهَ يَصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ مُسَلِّمًا مِنْ مَسَلِّمَاتِ الْحَقِّ: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ).

— إِنَّ اللَّهَ يَصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ، ولكن لا تسليم له من الله تعالى، وصلاةُ الله على النَّبِيِّ سارية دائمة، ومتصلة فلا تنقطع، ولا تنتظر داعيًا؛ فالتّي تنتظر داعيًا الصَّلَاةُ والتسليم اللذان يُعدّان دينًا على المؤمن حتى يقضيهما قولًا وإقامةً وأداءً.

— هناك فارق مفهومي بين قوله: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} ¹⁰⁶، وقوله: {وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ} ¹⁰⁷؛ فمفهوم الأولى كما سبق تبيانه: يؤكّد على صلاة الله على النَّبِيِّ بقاء وديمومة لا تنفصل، وكذلك يظهر أمر الله للمؤمنين بالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ والتسليم على النَّبِيِّ.

أي: هناك مفاهيم ثلاثة تستوجب التبيان:

الأوّل: الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ)؛ لأنّه لم ينطق عن الهوى، والصَّلَاةُ هنا اتباعه فيما يقول ويفعل ويعمل ويسلك، وليست الصَّلَاةُ مجرد قول ينطقه اللسان، ولتقريب المفهوم: العرب عندما تثق في شخصٍ ما وتصدّقه، تقول: هذا الشخص الكريم يصلّي على طرفه،

106 الأحزاب: 56.

107 الصافات: 181.

أي: وكأنه منزّه من الزلل؛ ولهذا فمفهوم (صلّوا عليه) خذوا ما آتاكم وانتهوا
عَمَّا نَهَاكُمْ: { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولَ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا }¹⁰⁸

الثاني: التسليم للنبي اعتراف وقبول واستيعاب (وَسَلِّمُوا) بمعنى اعترفوا
به نبياً متميزاً بنبوته، ورسالته، وأطيعوه فيما آتاكم به رسولاً، واتبعوا سننّه.

الثالث: التسليم للنبي طاعة (تسليماً): { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا
اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ }¹⁰⁹، بمعنى: تسليماً لا يلحقه الشك ولا الظن؛ لأنّه
رسول الله المصلّى عليه تمجيداً وتعظيماً.

الصَّلَاةُ وَالتَّسْلِيمُ عَلَى النَّبِيِّ:

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى النَّبِيِّ: كلمة (اللَّهُمَّ) تحمل في مضمونها مفهوم التوكّل
على الله؛ لأنّ قائلها يعرف أنّه لو لم يتوكّل على الله لن يتمكن من الحصول
على الاستجابة، ويفهم من قول المؤمن: (اللَّهُمَّ) أنّه موحدٌ لله ولا يشرك به
أحدًا، ومن ثمّ فإنّ مفهوم كلمة (اللَّهُمَّ) يحتوي مجموعة من المفاهيم، منها:
. التوحيد (اللَّهُمَّ) أي: إنّ قائلها لا يدعو إلاّ الله (قَصُورُ الدُّعَاءِ عَلَى
الله).

. التوكّل (اللَّهُمَّ)؛ لأنّ قائل (اللَّهُمَّ) له مقصد، أو أنّه متهيئ للقول
أو متأهب للإقدام على الفعل، أو العمل الذي لن يتحقّق إلاّ بمشيئة الله.

. التسليم لأمر الله (اللَّهُمَّ)؛ إذ لا انتظار لإجابة حاسمة للأمر إلاّ من

عند الله.

108 الحشر: 7.

109 النساء: 59.

. النداء (اللَّهُمَّ) أي: يا الله.

. الدعاء (اللَّهُمَّ) تُنبئ عن توجّه الدّاعي إلى الله في دعواه.

ومن ثمّ فإنّ (اللَّهُمَّ) كلمة جمعت الميم المشدّدة (مّ) مع اسم الله تعالى، فأنتجت مفاهيم: التوحيد، والتوكّل، والتسليم، والنداء، والدعاء، أي: إنّ إلحاق الميم المشدّدة باسم الله يشير إلى أنّه لا ملجأ من الله إلاّ إليه.

وعليه:

فإنّ مفهوم (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى النَّبِيِّ) هو مفهوم الاستحسان والمباركة والتمجيد؛ اعترافاً بالنبوة وصاحبها، واعترافاً بالقدوة الحسنة في الطّاعة والإيمان والخلق الكريم، وفي الحكمة والعدل والإنصاف.

قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ) قال: (النّبي) ولم يقل: (الرّسول، ولا محمّد، ولا المصطفى، ولا البشير، ولا النّذير ولا المنذر)؛ لأنّ كلمة الرّسول تطلق على أيّ رسول بمن فيهم المرسلون بين النّاس؛ ولهذا فالفرق كبير بين رُسل النّاس والرُّسل إلى النّاس، وكذلك فاسم محمّد اسم مسمّى بين النّاس، وهكذا حال المبشّرين والمنذرين بين النّاس، أمّا قوله: (النّبي) فلا نبي إلاّ من عند الله؛ ولهذا فلا يصلّي على رسول ولا بشير ولا نذير ما لم يكن نبياً.

ولأنّه قال: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ) فالصّلاة لا تقتصر على نبيّ معينٍ مع أنّ الآية الكريمة تتعلّق بمحمّد عليه الصّلاة والسّلام؛ ومن

ثمَّ فلا نفرِّق بين أحدٍ من رُسُلِهِ: { لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ }¹¹⁰.

ولذلك فالصَّلَاةُ من الله على النَّبي ليست ركوعًا ولا سجودًا، ولا تسليمًا للنَّبي، بل الصَّلَاةُ من الله على نبيِّه الكريم صلاة إشهار بأنَّ النَّبي لا يكون نبيًّا إلا من عند الله، ولأنَّه من عند الله فهو مصلى عليه: (مبارك ومحصَّن من الزَّلَل والله حافظه من كلِّ نقيصة) وبالتالي: فهو مهيبًا لأن يتَّبَع ويُصدَّق ويُطاع ويؤمن به ويسلم له.

أمَّا صلاة المؤمن على النَّبي فهي صلاة اتباع وطاعة؛ لأمرين:

— طاعة لأمر الله الذي أمر بالصَّلَاة والتسليم على النَّبي.

— إيمانٍ بأنَّ النَّبي الذي صلى الله عليه هو بحقِّ يستحقُّ الطَّاعة والإيمان به، وعليه يصلى ويسلم.

أي: إنَّ صَّلَاة الله على النَّبي أنَّه تثبته بالقول الثابت، وملاً قلبه بالنبأ العظيم، وأنزل عليه الوحي قولاً فصلاً، وأعزَّه بالحجَّة والحكمة، وأحاطه حفظًا وعنايةً ورعايةً وسلامًا وأمنًا، ومدَّه بالقوَّة، والوثوق في القول، والفعل، والعمل، والسُّلوك.

أمَّا صلاة المؤمنين على النَّبي فهي صلاة توحيد بقولهم: (اللَّهُمَّ) التي تعني ممَّا تعنيه: لا أحد غير الله يقصد فيجيب، ولا أحد غير الله يعبد ويصلى له، وهي تسليم بالمطلق بما يأمر به الله، وينهى عنه.

أما القول: (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى النَّبِيِّ) فتعني: التسليم بالنبي المعظم والمبارك من الله تعالى الذي اصطفاه نبياً ورسولاً، وبعثه خاتماً للأنبياء والمرسلين عليهم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ومن ثمَّ فالصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ من قبل المؤمنين إقرار بطاعته، واتباع سنَّته.

إذن: التسليم بمجرد أن يقول المؤمن: (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى النَّبِيِّ) فهو قد سلَّم به، وعندما يقول: (اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ) فهو قد ميَّز وضوحاً بين الصَّلَاةِ التي لا تكون إلا لله، وهي التي عندما تقام يتجسّد التسليم فيها، والصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ التي تعني التسليم بما أرسل به من الله المصلى له، والمسلّم بأنبياؤه ورسله.

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا }¹¹¹

إذن: ينبغي أن نميِّز بين أمرين:

الأوّل: الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ: وهي على وجوه، منها:

1. الصَّلَاةُ مِنَ الْأَعْلَى: وهي صلاة الله على النبي (صلاة مباركة وتعظيم وتمجيد وتخليد)؛ مصداقاً لقوله: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ).

2. الصَّلَاةُ إِلَى أَعْلَى: صلاة المؤمن على النَّبِيِّ (تعظيم النَّبِيِّ بعظمة الله)؛ مصداقًا لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا).
 الثاني، الصَّلَاةُ لِلَّهِ: وهي صلاة الطَّائِعِينَ (جميع الخلائق المسيَّحة باسمه)؛ مصداقًا لقوله تعالى: {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ} ¹¹²،
 والتسبيح هنا تسليم وطاعة واتباع بلا خلل.
 وعليه:

تُعد الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ قِبَلِ الْمُؤْمِنِينَ مِفْتَاحًا لِنَيْلِ الْمَزِيدِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ الْأَمْرِ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى النَّبِيِّ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)، أي: إِنَّ الْمَصْلِيَّ عَلَى النَّبِيِّ إِيمَانًا تَامًا يَصِلِّي طَاعَةً لِأَمْرِ اللَّهِ، وَإِيمَانًا بِأَنَّ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ تَجْعَلُهُ فِي مَحَبَّةٍ مِنْ يُحِبُّهُ اللَّهُ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ الصَّلَاةَ وَالتَّسْلِيمَ عَلَى النَّبِيِّ يَجْعَلَانِهِ تَحْتَ مِظَلَّةِ شِفَاعَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَمِنْ هُنَا فَالصَّلَاةُ وَالتَّسْلِيمُ عَلَى النَّبِيِّ عِبَادَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى، وَهِيَ الْعِبَادَةُ الْمَيَسَّرَةُ؛ إِذْ لَا اشْتِرَاطَ عَلَى الْمَصْلِيِّ وَالْمُسَلِّمِ عَلَى النَّبِيِّ إِلَّا التَّسْلِيمَ وَالتَّطَاعَةَ، أَي: إِنَّ لِلصَّلَاةِ شُرُوطَهَا وَنَوَاقِضَهَا، وَلِلصُّومِ شُرُوطَهُ وَنَوَاقِضَهُ، وَلِلْحَجِّ كَذَلِكَ، وَكَذَلِكَ لِلزَّكَاةِ، وَفِي الْمَقَابِلِ جَاءَ التَّيْسِيرُ التَّامُ لِلصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ إِذْ لَا اشْتِرَاطَاتٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ الْمَصْلِيِّينَ وَالْمُسَلِّمِينَ عَلَى النَّبِيِّ وَلَا نَوَاقِضَ.

الصَّلَاةُ والتسليم قولاً:

يُقال: (الصَّلَاةُ والسَّلَامُ على النَّبيِّ)، أو (عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ) وهذا القول يشير إلى لسان حال القائل (المؤمن الطَّائِعِ)، ويدلُّ على محبَّة النَّبيِّ: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ} ¹¹³؛ وكذلك يقال تأمُّلاً في تفضيله خَلْقًا وَخُلُقًا: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} ¹¹⁴، وأيضاً يقال تسليماً بما جاء به: (وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) وهكذا يكون التسليم بما قاله وما فعله؛ مصداقاً لقوله تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولَ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} ¹¹⁵؛ ولذا فالصَّلَاةُ والسَّلَامُ على النَّبيِّ تجسد قناعة المصلِّي والمسلِّم عليه والتزامه رغبة وإرادة ما يجعله في مرضاة الله وملائكته ونبِيِّه.

أمَّا صلاة الله على النَّبيِّ فهي الصَّلَاةُ تَحَقُّقًا؛ لأنَّ الله فعَّال لما يريد، أي: إِنَّ الصَّلَاةَ من الله على النَّبيِّ لا تكون إِلَّا متحقِّقة؛ لأنَّ الله مصدر الصَّلَاةِ خَلْقًا وَأَمْرًا: {وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} ¹¹⁶؛ ولهذا فصلاة الله على النَّبيِّ أمر متحقِّق، وليس بدعاء ينتظر الإجابة كما هو أمر دعائنا.

113 آل عمران: 31، 32.

114 القلم: 4.

115 الحشر: 7.

116 البقرة: 117.

الصَّلَاةُ والتسليم فعلاً:

مفهوم الصَّلَاةِ والتسليم فعلاً: طاعة النَّبِيِّ والأخذ بسُنَّتِهِ قولاً وفعلاً وعملاً وسلوكاً؛ فيصلي المسلم كما صلى عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ، ويصوم كما صام، ويزكي كما أمر وزكى، ويحج كما حج، ويجاهد كما جاهد، ويسبح كما سبح ويذكر الله كثيراً؛ مصداقاً لقوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} ¹¹⁷.

ولهذا جاء التسليم تسليماً مطلقاً بمُحَمَّدٍ، وبما أنزل عليه، وما أمر به، وما نهى عنه، وما بشر به وأنذر؛ أي: إنَّ مفهوم التسليم يدلُّ على الاعتراف والإيمان والتصديق القاطع الذي يجعل من المؤمنين آخذين بما آتاهم الرَّسُولُ ومنتهين عما نهاهم عنه.

وعليه:

فقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) دليل إثبات أنَّ الصَّلَاةَ على النَّبِيِّ بداية، ثمَّ التسليم به وبما أرسل به نهاية؛ وهذا يدلُّ على أنَّ الصَّلَاةَ تعني: (الإيمان بمُحَمَّدٍ أَوْلًا، ثمَّ التسليم بما أنزل عليه نبياً مرسلًا) أي: التسليم المطلق بما أرسل به نبياً، فهو قال: (صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) ولم يقل: (صلوا وسلموا تسليماً عليه)؛ ولهذا قلنا: الصَّلَاةُ هنا جاءت وقفًا على النَّبِيِّ (صَلُّوا عَلَيْهِ) والصَّلَاةُ عليه لا تكون إلاَّ إيماناً به؛ أي: آمنوا به، ثمَّ سلِّموا عليه تسليماً، بمعنى: خذوا واتبعوا ما جاءكم به نبياً مرسلًا دون أن يلحقكم ظنُّ أو شكُّ.

117 الأحزاب: 21.

أما بالنسبة إلى صلاة الله تعالى على مُحَمَّد، فصلاته جعلت من مُحَمَّد المبشّر به وجودًا مشاهدًا (نبيًا ورسولًا مرسلًا)، وجعلت من المصلّين عليه والمسلّمين به نبيًا ذاكرين وحامدين وشاكرين، وجعلت من القرآن المنزل على النبي مُحَمَّد آية من آيات صلاة الله عليه.

والسؤال:

هل صَلَاة الله على النبي دعاء؟

أقول:

إذا كان الله هو المصلّي على النبي فَمَنْ يا ترى سيكون الدّاعي، ومن سيكون المدعو؟ أي: من يدعو من؟

إنَّ الله يبارك مخلوقاته، وخير من باركهم خلقًا بارك الإنسان؛ مصداقًا لقوله تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} ¹¹⁸، وخير النَّاس كلَّهم الأنبياء عليهم الصَّلَاة والسَّلَام.

ولذا؛ فصلاة الله على النبي ليست عبادة؛ لأنَّ العبادة تكون من المخلوق إلى الخالق، بل هي مباركة وتعظيم شأن بعظمة الاصطفاء المنزّه، والرّسالة المنزّلة.

إذن: الصَّلَاةُ على النبي تعظيم شأن ورفعة مكانة؛ ولهذا فقد عظّمه الله في أحسن تقويم خَلْقًا، ثمَّ جعله على خُلُقٍ عظيم، ومن ثمَّ عظّمته الملائكة

أخذًا بتعظيم الله، وكذلك المؤمنون يعظّمونه؛ تسليمًا باصطفائه نبيًا، وأخذًا بما أنزل عليه من ربه العظيم.

وعليه:

فقوله تعالى: (وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) لا تعني إلقاء السّلام عليه، بل تعني التسليم به نبيًا، والأخذ والطّاعة بما جاء به مرسلًا؛ لأنّ السّلام قول يقال، أمّا التسليم فإيمان يُفعل وطاعة لا معصية من بعدها.

إذن: صلوا عليه وسلّموا تسليمًا أمران متّصلان علاقة؛ إذ لا تعني الصّلاة على النّبي عن التسليم له تسليمًا قاطعًا: {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ} ¹¹⁹.

الصّلاة والسّلام على النّبي تنفيذُ أمر:

إنّ قول الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) يعني: لا تسألوا أيّها المؤمنون لماذا الصّلاة على النّبي بما أنّ الله وملائكته يصلون عليه؛ فأنتم أيّها الخلق ليس لكم إلّا الصّلاة والسّلام تسليمًا على النّبي عليه الصّلاة والسّلام.

ولهذا فإنّ خير إجابة (طائعة) على قوله: (صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) قول: (عليه الصّلاة والسّلام)، أو (الصّلاة والسّلام على النّبي)؛ فهذا القول يعد تنفيذ الأمر إرادة ورغبة، أي: إنّ المستمع أوّل ما استمع النداء لبّي الأمر (جعله نافذًا)؛ لأنّه بقوله: (الصّلاة والسّلام على النّبي) قد

أقر وأعلن الطاعة لأمر الله واتباع النبي والتسليم به، وبما أنزل عليه من ربه عز وجل تسليمًا قاطعًا.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ:

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ تَحْتَوِي مَفَاهِيمَ: (التوحيد، والتسليم، والتوكل، والتلبية، والاعتراف) أي: توحيد الله، والتسليم له، والتوكل عليه، وتلبية أمره طاعة بالصلاة والسلام على مُحَمَّدٍ، بمعنى: أَنَّ الْمُؤْمِنَ قَدْ اعْتَرَفَ وَاسْتَجَابَ لِأَمْرِ اللَّهِ الَّذِي قَالَ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا).

وعليه:

فإنَّ قولَ المؤمن: (اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ) مع أَنَّهُ يَتَضَمَّنُ فِي مَفْهُومِهِ الظَّاهِرِ التَّخْصِيصَ، أَي: تَخْصِيصَ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ فَإِنَّهُ يَحْتَوِي الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَمَنْ يُؤْمِنُ بِمُحَمَّدٍ لَا يَدَّ أَنْ يُؤْمِنَ بِكُلِّ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ؛ وَهَذَا فَعِنْدَمَا تَصَلِّيَ عَلَى أَيِّ نَبِيٍّ فَإِنَّكَ تَخْصُهُ إِلَّا النَّبِيَّ مُحَمَّدًا؛ فَإِنَّ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَيْهِ لِحَقَانٍ وَيَعْمَانِ كُلِّ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾¹²⁰؛ وَهَذَا فَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَاةٌ وَسَلَامٌ عَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ، وَلَا سِيَّمَا أَنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا أبلغه الله بأن يقول: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ

وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ {¹²¹، وهنا جاء سلام النبي محمد على من سبقه من الأنبياء الكرام عليهم جميعاً الصلاة والسلام، وفي هذا القول سبق الحمد والسلام: (قل الحمد لله) ثم جاء قوله: (وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ).

إذن: كان أمر الحمد أولاً على ما فعله الأنبياء من أعمالٍ عظيمة؛ طاعة لأمر الله، ثم جاء تسليم محمد بما عملوا؛ تعظيماً للأنبياء الذين سبقوه اصطفاً.

ولهذا نقول: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ سَلَّمَ عَلَىٰ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ، وَسَلَّمْ بِمَا فَعَلُوهُ فِي مَرْضَاةِ اللَّهِ، وَكَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ حَمْدًا وَتَسْلِيمًا، وَمِنْ هُنَا فَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ الَّذِي سَلَّمَ عَلَىٰ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ تَشْمَلُ الصَّلَاةُ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَقَالَ أَنَسٌ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا سَلَّمْتُمْ عَلَيَّ فَسَلِّمُوا عَلَيَّ الْمُرْسَلِينَ، فَإِنَّمَا أَنَا رَسُولٌ مِنَ الْمُرْسَلِينَ"¹²².

ولذا؛ فإنَّ قول (اللَّهُمَّ) يحتوي مفهوماً اعترافياً بأنَّ الله واحد أحد، وأنَّ مُحَمَّدًا نَبِيَّهُ، وَأَنَّ التَّسْلِيمَ بِهِ نَبِيًّا تَسْلِيمٌ مُطْلَقٌ؛ لِأَنَّهُ التَّسْلِيمُ بِالْحَقِّ، وَمِنْ هُنَا تَحْتَوِي كَلِمَةُ (اللَّهُمَّ) إِشْهَادَ اللَّهِ عَلَىٰ قَائِلِهَا، أَي: إِنَّ قَائِلَهَا وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: اشْهَدْ يَا اللَّهُ أَيُّ أَصْلَابِي وَأَسْلَمَ عَلَىٰ النَّبِيِّ كَمَا أَمَرْتِ، وَاشْهَدِي أُنِي مِنَ الطَّائِعِينَ وَالتَّابِعِينَ الْآخِذِينَ بِالْأَمْرِ الَّذِي يَسْتَوْجِبُ الْإِتْبَاعَ، وَمَنْتَهُ عَمَّا يَنْبَغِي الْإِنْتِهَاءَ

121 النمل: 59.

122 تفسير القرطبي 15 / 142.

عنه؛ ولهذا فقول: (اللَّهُمَّ) قول المتوكل على الله في القول والفعل والعمل (إنَّه قول المؤمن توحيداً).

وبناءً عليه: فمن يُشهد الله عليه ليس له إلا الطَّاعة وهو سبحانه وتعالى عالم الغيب والشَّهادة؛ فالغيب ما غاب عنَّا، ولا ينبغي أن نقول: إنَّ عند الله غيبًا، فالغيب خلق من خلقه فكيف يغيب المخلوق عن خالقه، ولا أن نقول: إنَّ الشهيد مشتق من الشَّهادة، بل هو سبحانه وتعالى خالق الشَّهادة التي لغيره، أمَّا شهادته فغير مخلوقة وهي ذاتية سرمدية بلا أولية ولا انتهاء؛ لأنَّه الأوَّل بلا بداية والآخر بلا نهاية.

ولا يمكن أن تأتي الشَّهادة من غير الحي، فالحياة لازمة لحصول الشَّهادة؛ لأنَّ الحياة تدلُّ على القيوميَّة، وهذا بالتَّالي يجعل من الحي المطلق شهيدًا مطلقًا لا يمكن أن يغفل أو ينام، وذلك كما جاء في قوله تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} ¹²³، فالشَّهيد المطلق هو من كان مطلق العلم بعباده وبما خلق لما تتطلبه الشَّهادة من متابعة، ومراقبة وعلم وعدل، وهذه الصِّفات لا تكون مطلقة إلا لدى الواحد الأحد الذي يشهد على كلِّ صغيرة وكبيرة، ويجعل من كلِّ منها شاهدة على الإنسان في كتابه يوم تقوم السَّاعة، فيقف بين يدي الحي القيوم كما جاء في قوله تعالى: {وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِي هَذَا

الْكِتَابِ لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا¹²⁴، ولا يمكن أن تكون هذه الدقة وهذا النظام إلا بوجود شهيد دائم الحياة والقيوميّة لا يغفل، ولا ينسى، ولا ينام ولا يظلم، وفي تقديم الله للصغائر على الكبائر لأكبر دليل على عدل شهادته ودقته وعلمه المطلق بكلّ شيء، فالغافل لا يمكن أن يدرك كلّ ما حوله، والنائم لا بدّ أن يفوته كثيرٌ من الأمور، والميت تنتهي علاقته بكلّ شيء منذ ساعة موته، وهذا ينتفي مع صفات الله تعالى الذي يحاسب على كلّ شيء فكيف يحاسب الإنسان على أمر من غير أن يكون شهيدا عليه.

ولهذا أشهد المؤمن (الله) على نفسه بقوله: (اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ)؛ أي: إنّ المؤمن أشهد الله على نفسه؛ لكيلا يخلف بعهدته الذي أعلن التزامه به أمام ربه وهو: (الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ).

سَلِّمُوا تَسْلِيمًا:

سَلِّمُوا: تعني ممّا تعنيه (اعترفوا وأطيعوا) أي: إنّها لا تعني أسلموا؛ فأسلموا أمر يستوجب الهداية إلى الدين الإسلامي: {فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ¹²⁵، وهي لا تعني السلام؛ فالسلام مفهوم يقال عند ختام الصلوة، أو يقال عند اللقاء بالعباد المؤمنين؛ كونه تحية محبة، وإعلان المسالمة الآمنة؛ مصداقاً لقوله تعالى: {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ

124 الكهف: 49.

125 آل عمران: 20.

يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ¹²⁶، وقال: {وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ}¹²⁷، أي: في تحييتهم معنى رفيع وجميل، يحترم مَنْ يُلقى السَّلَامَ عليهم، ويشعرهم بالأمن والطمأنينة، وقول السَّلَام هنا يأخذ مفهوم العهد الذي لا يُخَلَّ به؛ إذ لا خوف من قائله؛ لأنَّه القول المطمئن للقلوب.

وعليه:

فمفهوم قوله: (سَلِّمُوا) لا إكراه فيه؛ لأنَّه لم يقل: استسلموا، فالاستسلام لا يكون إلَّا عن مذلَّة ودونيَّة وقهر، أمَّا مفهوم قوله: (سَلِّمُوا) صدِّقوا؛ لأنَّه الحقُّ، وخذوا به؛ لأنَّه رفعة تخرج من الظلمات إلى النُّور (من الجهل إلى المعرفة).

ومن ثمَّ فسَلِّمُوا تعني مما تعنيه: أطيعوا؛ إذ لا حُجَّةَ لكم أمام الحجَّة والنبا العظيم، ولا داعي للمجادلة فيه، بل عليكم بالقبول والطَّاعة، والأخذ بالأمر المبين الذي جاءكم به نبيُّ مرسل.

تسليمًا: جاء مفهومها بمعنى مطلقًا، ولكن هذا الإطلاق لا يكون إلَّا عن دراية بالأمر المسلَّم به؛ إذ لا شكَّ من بعده، وهو الفعل الذي لا يمكن أن يؤخذ أو يتم الإقدام عليه في زمن التردُّد؛ ولهذا جاء مفهوم (تسليمًا) بمعنى قاطعًا.

126 الأنعام: 54.

127 يونس: 10.

إذن، قوله تعالى: (وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) مخاطبة للمؤمنين الذين يدركون أنّ الله هو الحقّ، وقول الحقّ لا يكون إلّا حقًّا؛ ولهذا يسلمون له تسليماً مطلقاً وقاطعاً ولا رجعة من بعده.

ومن ثمّ فالمفهوم العام لقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) هو أنّ الله يخاطب المؤمنين فيبلغهم بما يجب أن يعلموه، ويأخذه حُجَّةً، ويسلموا به تسليماً مطلقاً؛ لأنّ الأمر يتعلّق بمن آمن ويصليّ ويسلم تسليماً على النبي وعن إرادته، ومن ثمّ فالتسليم هنا ليس إكراهًا، بل رغبة وعن إرادة، وهذا الأمر يختلف عن أمر الشاكّين والظانّين الذين لا يسلمون إلّا إذعاناً؛ مصداقاً لقوله تعالى: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} ¹²⁸؛ أي: يُذْعِنُوا إذعاناً.

ومن ثمّ فقوله: (تسليماً) يحمل في مفهومه وجوب الإيمان بالقلب؛ لأنّ الله يصليّ على المؤمنين الذين يصلّون له ويصلون على النبي، بمعنى: بما أنكم أيّها المؤمنون تصلّون على النبي كما أمرتكم فلن تلحقكم المخاوف، ومن يطع الله ويسلم على النبي تسليماً تامًّا (عن وعي) فقد بلغ التسليم العظيم (المطلق) ممّا يجعله في رعاية الله وحفظه؛ ولهذا نقول: إنّ الصلّاة على النبي فوائدها ومغانمها ومكاسبها تعود على المصليّ على النبي، بمعنى: تعود على المصليّ وليس على المصليّ عليه؛ ولهذا صلّوا على النبي وسلّموا تسليماً

يَمَكِّنُ الْمُصَلِّينَ وَالْمُسَلِّمِينَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ نَيْلِ الْحَسَنَاتِ الَّتِي لَا تَنَالُ إِلَّا بِالصَّلَاةِ
وَالسَّلَامِ عَلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

الصَّلَاةُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ:

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً
وَأَصِيلًا هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا }¹²⁹، فقوله: (هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ)
قول لا يحمل في مفهومه الدعاء، بل يحمل الرحمة؛ ولهذا فالصلاة من الله
على عباده المؤمنين رحمة؛ لأنهم يذكرونه كثيراً ويسبحونه بكرة وأصيلاً، أي:
إنها المباركة المكافأة لهم على ذكرهم الله، وتسبيحهم له جلّ جلاله.

ومن ثمّ، فالصلاة من الله لم تكن الدعاء ولن تكون، بل هي المكافأة
الطيبة التي بها تطمئن الأنفس والقلوب؛ فالله يُدعى ولا يدعو، لأن الله
وحده مصدر الرحمة والإجابة، وهو عالم الغيب والشهادة، ويده الأمر كله؛
ولهذا فالذي يدعو هو من تمسّه الحاجة والعوز ولا يملك الإجابة، أي: إنَّ
خالق النعيم ليس في حاجة لمن ينعم عليه.

وعليه:

هل هناك من يُدعى غير الله لأيّ أمرٍ فيجيب؟

بالطبع: لا.

ولأنَّ الصَّلَاةَ دعاءٌ؛ وأنَّ الله تعالى يصليّ على النَّبيِّ، فهل النَّبيُّ في حاجة لمن يدعو له، أم أنَّ الذي يعتقد أنَّه يدعو للنَّبيِّ هو من يكون في حاجة لدعائه عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ؟

فالله تعالى ليس في حاجة لمن يدعو له؛ مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾¹³⁰، وكذلك الملائكة ليسوا في حاجة لمن يدعو لهم، ولا الأنبياء، ولكنَّ العباد دائمًا في حاجة لصلاة الله وملائكته وأنبيائه.

ولهذا؛ فالصَّلَاةُ من الله تعظيم شأن ومكافأة ورحمة، وهي من المؤمنين عبادة، ومن الملائكة استغفار، ومن الرّسول سكنٌ: ﴿إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾¹³¹.

إذن: إنَّ صَّلَاةَ الله على المؤمنين تخرجهم من الظُّلمات إلى النُّور قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾¹³² جاء مفهوم صلاة الله بمعنى رحمة الله، ومعنى صلاة الملائكة: تسبيحهم برحمة الله على عباده الذين آمنوا؛ لأنَّ الملائكة مجبولون على الطَّاعة؛ ولهذا فهم يعملون على ترسيخ الرّحمة بين المؤمنين؛ مصداقًا لقوله تعالى: ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ

130 البقرة: 155 – 157.

131 التوبة: 103.

132 الأحزاب: 43.

يَعْمَلُونَ} ¹³³، أي: إنَّهم أوَّل من يستمع إلى قول الله، وأوَّل من يعمل بقول الله هداية؛ ولهذا فهم لا يسبقونه بالقول، بل يتبعون قوله عملاً وهداية؛ ولهذا فهم محبوبون على الطَّاعة.

مفهوم (اللَّهُمَّ) تحديّ شكّي:

قال تعالى: {وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} ¹³⁴ جاء قول (اللَّهُمَّ) في هذه الآية على لسان الجاهلين بمفهوم الشكّ مع قبولهم تحديّ الرّسول أن يمطر عليهم حجارة من السّماء، أو أن يأتيهم بعذاب أليم، ومن ثمّ أنزلت الإجابة على محمّد عليه الصّلاة والسّلام الذي لو لم يكن محمّد بينهم لكانت الإجابة قاصمة لظهورهم؛ مصداقاً لقوله تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ} ¹³⁵.

ومن هنا فإنّ كلمة (اللَّهُمَّ) جاءت بمفهوم مخالفٍ لما ذكرناه من مفاهيم؛ فالمفهوم هنا لم يكن دعاء، ولا توكّلاً، ولا توحيداً، ولا تلبية، بل إنّه جاء بمفهوم التحديّ والشكّ في استجابة الله لمحمّد، ولكنّ الله السّميع القريب جاءت إجابته حاسمة للأمر: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ).

مفهوم (اللَّهُمَّ) تسليميّ:

قال تعالى: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}

133 الأنبياء 26، 27.

134 الأنفال 32.

135 الأنفال 33.

شَيْءٍ قَدِيرٍ¹³⁶، يفهم من كلمة (اللَّهُمَّ) كما جاءت هذه الآية أَنَّ قائلها لا وجهة له إلاَّ الله الذي أسلم أمره إليه واحدًا واحدًا، أي: تسليم بأنَّ الله وحده مالك الملك، وتسليم بأنَّ الله وحده يُوْتِي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء، وتسليم تام بأنَّ الله وحده يعزُّ من يشاء ويذلُّ من يشاء، وتسليم تام بأنَّه لا خير إلاَّ من عند الله. هكذا هو تسليم المؤمن الذي لم يدخل قلبه شكٌّ ولا ظنُّ في واحديَّة الله، وملكه، ومقدرته، وعزَّته.

مفهوم (اللَّهُمَّ) دعاء الواثقين:

قال تعالى: { قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ }¹³⁷، إنَّه دعاء عيسى عليه الصَّلَاة والسَّلَام الواثق من أنَّ الله القريب سميع يجيب الدُّعاء استجابة للدَّاعي (عيسى) وللسَّائلين (الحواريين)؛ مصداقًا لقوله تعالى: { إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ }¹³⁸؛ فكانت الإجابة آية بين يدي الدَّاعي وأيدي السَّائلين.

136 آل عمران: 26.

137 المائدة: 114.

138 المائدة: 112 . 113.

مفهوم (اللَّهُمَّ) تعجب معظم:

قال تعالى: { دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعَوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }¹³⁹، إنهم أهل الجنة، الجنة التي مهما نعتقد أنها عظيمة فهي أعظم؛ ولهذا يأتي تعجب النفس من عظمتها؛ ابتهاجاً وسروراً، فأهل الجنة كلما تنعموا فيها بنعمة تتلذذ أذواقهم بلذة لم يسبق لهم ذوقها؛ ولهذا فليس لهم من إجابة تجيب عن لذتها إلا قولهم: (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ) التي تعني ممّا تعنيه اعترافاً بفضل ذي الفضل الكريم مع وافر التعظيم والتعجب المبهجين.

وعليه:

فإن أهل الجنة يعظمون الله بقولهم: (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ) بمعنى: إنهم مهما قارنوا بين تلك الأذواق التي كانوا يعيشونها في الحياة الدنيا فلا مقارنة مع نعيم الجنة وفردوسها ومأواها؛ ولهذا فهم في سلام لم يحيوه من قبل، إنّه (سلام الجنة)؛ ولهذا فتحيتهم (سَلَامٌ)؛ مصداقاً لقوله تعالى: (وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعَوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) قال: (وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ) ولم يقل: (وتحيتهم سلام)؛ لأنّ في الأولى جاء السّلام بمفهوم (الفعل المتحقّق) بمعنى القول يحمل الفعل، أمّا في الثانية فجاء المفهوم (قول يقال): إذ لا فعل في القول إلا القول ذاته.

ولهذا فإنّ قول أصحاب الجنة: (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ) يحتوي في مفهومه حديث المشاعر والأحاسيس؛ تعجباً واعترافاً بفضل الله عليهم.

مفهوم (اللَّهُمَّ) تعظيم مطلق:

إِنَّ قَوْلَ الْمُؤْمِنِ: (اللَّهُمَّ) يَحْمِلُ فِي مَفْهُومِهِ تَعْظِيمَ اللَّهِ تَوْحِيدًا وَتَوَكُّلًا وَاسْتِعَانَةً؛ أَي: مَنْ يَدْعُو اللَّهَ بِذَاتِهِ (اللَّهُ) فَهُوَ يَدْعُوهُ بِكُلِّ صِفَاتِهِ، وَمَعَ أَنَّ اسْمَ اللَّهِ يَحْتَوِي كُلَّ الصِّفَاتِ؛ فَإِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ اسْتِمْدَادَ صِفَةٍ مِنْ اسْمِهِ؛ وَلِهَذَا عَدَّدَ اللَّهُ لَنَا صِفَاتِهِ أَسْمَاءَ حَسَنِيٍّ؛ فَاسْمُ اللَّهِ هُوَ: (الاسْمُ الْأَعْظَمُ) الَّذِي تَتَعَدَّدُ صِفَاتُهُ وَهُوَ الْوَاحِدُ الَّذِي لَا يَتَعَدَّدُ: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} ¹⁴⁰ أَي: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ اسْمَ اللَّهِ مُسْتَمِدٌّ مِنْ اسْمِ (إِلَهٍ) قَدْ قَصَرَتْ مَعْرِفَتُهُمْ عَنْ مَعْرِفَةِ اسْمِ اللَّهِ؛ فَاللَّهُ تَعَالَى خَالِقٌ، أَمَّا الْإِلَهُ فَمَخْلُوقٌ، وَمِنْ هُنَا السُّؤَالُ يَطْرَحُ نَفْسَهُ: هَلْ عَقَلَ الْمُؤْمِنُ يَقْبَلُ أَنَّ يَكُونَ خَالِقَهُ مُسْتَمِدًّا مِنَ الْمَخْلُوقِ (الْإِلَه) الَّذِي لَا يَكُونُ إِلَّا مَصْنُوعًا مِنَ الشَّيْءِ الْمَخْلُوقِ كَالْحِجَارَةِ عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ، أَوْ أَنْ يَتَّخِذَ الْبَعْضُ الشَّمْسَ إِلَهًا أَوْ غَيْرَهَا مِمَّا خُلِقَ؟

وعليه: فدعاء المؤمن بقوله: (اللَّهُمَّ) هو تعظيم لله أولًا، ثم اعتراف بواحديته، ثم إظهار الدعاء الذي يعد صاحبه في كربة أو حاجة؛ فتكون الإجابة من الله بصفة المجيب جلّ جلاله؛ ولذا فالمؤمن ليس له إلا تعظيم الله دعاءً وحمدًا وشكرًا، ومع ذلك كلما شكر المؤمن الله على إجابة زاده إجابة من فضله الواسع: {لَتَيْنِ شَكَرْتُمُ لَأَزِيدَنَّكُمْ} ¹⁴¹.

140 الحشر: 22.

141 إبراهيم: 7.

مفهوم (اللَّهُمَّ) اعترافي إيماني:

قال تعالى: {قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} ¹⁴² جاء قول: (اللَّهُمَّ) في إطار المفهوم الاعترافي الذي يظهر الإيمان المطلق بحكم الله العدل فيما يختلف فيه المختلفون؛ ولهذا رسول الله عليه الصلاة والسلام كان في كل أمر يستعين بالله في حكمه بين المختلفين؛ لأنه يعلم أنه لا عدل بين الناس إلا عدل الله.

ولهذا فمفهوم: (اللَّهُمَّ) قابل لأن يوظف وفقاً للهدف والغرض والغاية والمأمول، ولكلِّ حسب ما نوى، أي: إذا وُظِّف في مكانه كانت الإجابة، وإن لم يوظف في مكانه فلا إجابة؛ ولذا فمن وظَّفه مكان الدعاء كان دعاءً، ومن وظَّفه بنية التسليم كان تسليمًا، ومن وظَّفه بنية الشكِّ كان شكًّا، ومن ثمَّ فمن آمن ليس كمن كفر.

(اللَّهُمَّ) مفتاح رفع القضية:

ومع أن قول (اللَّهُمَّ) مفهومٌ توكلِّي (التوكل على الله) فإنَّ هذا المفهوم فيه تماثل مع البسملة؛ من حيث إنَّ البسملة لا يأتي من بعدها إلا قول الله، أمَّا قول اللَّهُمَّ فلا يأتي من بعد إلا قول من يرفع قضيتَه إلى الله؛ يشكوه حاله أو يشكوه الظالمين، والمعتمدين، والكاذبين، والمنافقين، والغادرين.

وإنَّ تساءل متسائل:

لماذا لا يرفع المظلوم قضيتَه إلى القضاء العادل؟

أقول:

لأنَّ رافع القضية عندما يسحب ثقته من النَّاس الظَّالِمين ليس له بدُّ إلا أن يتوجَّه بقضيَّته وشكواه إلى الله العدل، وهكذا عندما تكون معطيات القضية لا يعرفها إلا أصحابها ولا شهود عليهم فرافع القضية ليس له من يستمع دعواه إلا الشَّهيد العظيم (الله جلَّ جلاله) فيلتجئ إليه مخاطبًا بقوله: مفتاح الدُّعاء (اللَّهُمَّ)، ثمَّ يعرض قضيَّته التي يعلمها الله تفصيلاً، قال تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} 143.

والمسائل يتساءل:

ولأنَّ الله شاهدٌ عليها، وهو الحكم العدل، فلماذا ترفع إليه؟ أي: لماذا لا يصدر حكمه فيها وهو العدل الشَّهيد السَّميع المجيب؟

أقول:

إنَّ الله عفوٌّ يحب العفو، فيترك الفرصة؛ لعلَّهم يعفون أو يتَّعظون (يستغفرون ويتوبون). ولكن إن قرَّر المظلوم رفع دعوته (قضيَّته) إليه فهو السَّميع المجيب قال تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} 144، وقال: {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ} 145.

143 البقرة: 186.

144 البقرة: 186.

145 النمل: 62.

ومع أنّ المظلوم إذا رفع قضيّته (دعوته) إلى الله أجابه عدلاً، فإنّ ساعة الإجابة لا يعلمها إلا هو عزّ وجلّ؛ لأنّ إجابته تعالى قد تكون في زمن رفع القضيّة، وقد تكون تالية عليها؛ إنّها الإجابة التي يقصر زمنها أو يطول، وفي كلّ الأحوال ستكون الإجابة حكماً عدلاً متحقّقاً.

وعليه:

فهنالك تساؤل استفهامي يلفت أسماع المستغربين، وهو: (أمن يجيب المضطر)؟

إنّ التساؤل الذي يحمل إجابته فيه مفهوماً بيّناً وهي: إنّ المجيب هو الله، أي: لا مجيب للمضطر إلا الله.

ولأنّ المجيب بالمطلق هو الله تعالى فاختصار الطرق في طريق واحد مستقيم لا يؤدّي إلا إليه؛ ولهذا لا سميع مجيب بالمطلق إلا الله الذي تُرفع الدعاوى إليه قضايا عادلة.

سلام على المرسلين

إنّ قول الله جلّ جلاله: (وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ) يتضمّن مفهوم إضفاء صفة الله (السلام) على المرسلين عليهم الصلّاة والسلام؛ ولهذا فسلام على الأنبياء أصحاب رسالات السلام.

إنّ قوله تعالى: (وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ) قول تمجيد وتعظيم لما قام به المرسلون؛ من جهاد في سبيل إعلاء كلمة الله وتوحيده والتبشير بأمره، وتحمل ما ترتّب على ذلك من أعباء جسام؛ فسلام على المرسلين؛ لما هم عليه من مكارم أخلاق، وما أنبئوا به من نبأ عظيم، وما حملوا من رسالات

خالدة، وما فعلوا وعملوا من أجل توحيد الله واتباع أمره والانتهاز عما نهي عنه.

قَالَ أَنَسٌ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا سَلَّمْتُمْ عَلَيَّ فَسَلِّمُوا عَلَيَّ الْمُرْسَلِينَ فَإِنَّمَا أَنَا رَسُولٌ مِنَ الْمُرْسَلِينَ وَقِيلَ مَعْنَى وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ أَمَّنْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ يَوْمَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ"¹⁴⁶، وقال ابن كثير: أَي: سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ"¹⁴⁷.

ولأنهم رُسلُ الله فسلام عليهم، ولا نفرق بينهم؛ مصداقاً لقوله تعالى: {لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}¹⁴⁸.

وعليه:

فمن حيث المفهوم، فالفرق كبير بين: (السَّلَام والتسليم)؛ فالسَّلَام يعني (الأمن والطمأنينة)، وهذه لا شكَّ أنَّها من الله متحققة للمرسلين عليهم الصَّلَاة والسَّلَام (وسلام على المرسلين).

إذن: فمفهوم (وسلام على المرسلين) يظهر بشري الله وخبره لنيبه محمد بأنَّ جميع الأنبياء عليهم الصَّلَاة والسَّلَام قد أتموا ما أمروا به (فسلام عليهم) أي: إِنَّ الله قد شكر محمد رُسُلَهُ الذين سبقوه، وفي المفهوم لا استثناء

146 تفسير القرطبي، 15 / 142.

147 مختصر تفسير ابن كثير، 2 / 195.

148 البقرة: 285.

لأَيِّ نبي من أنبياء الله من آدم إلى الخاتم، فسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

ومن ثم؛ فالتسليم لا يكون إلا من المخلوق إلى الخالق؛ ولهذا فالله عز وجل صلى على النبي ولم يسلم؛ مصداقاً لقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ) أي: إنه قال: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ) ولم يقل: وسلموا تسليماً؛ ولهذا ترك أمر التسليم لمن يتعلق الأمر بهم وهم المؤمنون، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)؛ ولذا فأمر الله بيقام إيماننا وطاعة: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} ¹⁴⁹.

وبناء عليه: فَإِنَّ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى النَّبِيِّ أَخْذًا بقوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) يعينان:
. طاعة أمر الله .

. الإيمان بأنَّ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى النَّبِيِّ حَقٌّ يَنْبَغِي أَنْ يُقَامَ.

. الإيمان تسليماً مطلقاً بالرَّسُولِ وطاعته (أَخْذًا وَهَيْئًا وَتَجَنُّبًا).

. السَّعْيَ لِنَيْلِ رِضَا (النَّبِيِّ)؛ لِأَنَّهُ رِضًا مِنَ اللَّهِ، فَمَنْ فَازَ بِرِضَا النَّبِيِّ

فَقَدْ فَازَ بِرِضَا اللَّهِ: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} ¹⁵⁰.

إِنَّ مَفْهُومَ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: يَرِسِّخُ تَعْظِيمَ اللَّهِ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ؛ وَهَذَا

فَنَحْنُ نَقُولُ: إِنَّ الصَّلَاةَ عَلَى مُحَمَّدٍ تَعْظِيمُ شَأْنِهِ؛ لِأَنَّهُ:

149 آل عمران: 132.

150 القلم: 4.

. حُلِقَ عَلَى الْحَمْدِ خَلْقًا (مُحَمَّد) أَي: إِنَّ مُحَمَّدًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ
الْمَعْظَمُ خَلْقًا، وَمِنْ هُنَا جَاءَتْ صَلَاةُ اللَّهِ عَلَيْهِ حَمْدًا، وَوَجِبَتْ الصَّلَاةُ عَلَيْهِ
مِنَ الْعِبَادِ حَمْدًا.

. إِنَّهُ الْمَعْظَمُ خُلِقًا مِنَ الْعَظِيمِ عَزَّ وَجَلَّ: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ).
وعليه:

نَبِيُّ يَبْلُغُ هَذَا الْمَقَامَ الْمَعْظَمَ مِنْ خَالِقِهِ أَلَا يَسْتَحِقُّ الصَّلَاةَ وَالتَّسْلِيمَ
عَلَيْهِ؟

وَمِنْ ثَمَّ؛ فَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تَسْلِيمًا عَلَى النَّبِيِّ اعْتِرَافًا بِالْحَقِيقَةِ لَا
أَكْثَرَ؛ وَلِذَا فَمَنْ يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ يَتَبَوَّأُ مَكَانًا عَظِيمًا عِنْدَ اللَّهِ، أَي: فَمَنْ أَرَادَ
أَوْ رَغِبَ مَكَانَةَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى فَلْيَصِلْ وَيَسَلِّمْ تَسْلِيمًا عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدًا، وَلَا
يَفْرُقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ.

وَيُسْتَمَدُّ مِنَ (الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَى النَّبِيِّ) كَمَا أَنْزَلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) مُتَغَيِّرَاتٌ ثَلَاثَةٌ:
. الْمُتَغَيِّرُ الْأَوَّلُ: الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ، قَالَ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
صَلُّوا عَلَيْهِ).

. الْمُتَغَيِّرُ الثَّانِي: الْإِعْتِرَافُ، قَالَ تَعَالَى: (وَسَلِّمُوا)، وَمَفْهُومُ كَلِمَةِ
(سَلِّمُوا) لَمْ يَأْتِ بِمَفْهُومِ إِقَاءِ السَّلَامِ عَلَيْهِ، بَلْ بِمَعْنَى التَّسْلِيمِ لَهُ اعْتِرَافًا.

. الْمُتَغَيِّرُ الثَّلَاثُ: التَّسْلِيمُ الْمَطْلُوقُ بِهِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ مَعْجَزَاتٍ؛ مُصَدِّقًا
لِقَوْلِهِ تَعَالَى: (تَسْلِيمًا). إِنَّ مَفْهُومَ كَلِمَةِ (تَسْلِيمًا) يَشِيرُ إِلَى التَّسْلِيمِ الْمَطْلُوقِ؛

إذ لا شكوك ولا ظنون فيما أُرسِلَ به نبيًّا إليكم: { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا }¹⁵¹ فخذوا ما آتاكم بالمطلق، وانتهوا عما نهاكم بالمطلق (تسليمًا).

ومن ثمَّ فالصَّلَاةُ هنا ليست صلاة الأوقات الخمس وما يقرب إلى الله ركوعًا وسجودًا، بل هي الإيمان بالله والنبين عليهم الصَّلَاة والسَّلَام (الإيمان الذي يدفع إلى الركوع والسُّجود إليه وحده).

ولهذا فقوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا }¹⁵² نزلت لمخاطبة العقل الممكن من إدراك الحقيقة، وتبianaها، وكشف أسرارها؛ إذ لا شيء أعظم من أن يقال لك: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ)، أي: أيها العقل إذا كان الله وملائكته يصلون على النبي فلم لا تصلي عليه؟ مع العلم إذا صليت عليه يصلي عليك؛ مصداقًا لقوله تعالى: { وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ }¹⁵³؛ ولهذا فالصَّلَاةُ على النبي هي إعلان الإيمان به والاعتراف برسالته، أمَّا التسليم فهو الأخذ بها، واتباع أوامرها ونواهيها كما أنزلت من الله تعالى على النبي محمَّد عليه الصَّلَاة والسَّلَام.

وعليه: مع أنَّ الله يسلم على أنبيائه مباركة وتمجيدًا فإنه لا يسلم تسليمًا إليهم؛ لأنَّ السَّلَام مباركة لهم، وهذه لا تكون مطلقة إلا من عند الله، أمَّا التسليم فيستوجب الطَّاعة وهذه لا تكون إلا من المخلوق للخالق؛

151 الحشر: 7.

152 الأحزاب: 56.

153 التوبة: 103.

ولهذا جاء في قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)، أي: جاء القول معلناً لصلاة الله على النبي، وفي المقابل جاء قول التسليم أمرًا للمؤمنين؛ ولهذا لم يقل الله: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا).

والسَّلَام قد يكون ذا مفهومٍ عامٍّ على جميع المرسلين؛ مصداقًا لقوله تعالى: {وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ} ¹⁵⁴، وقد يكون خاصًّا؛ مصداقًا لقوله: {سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ} ¹⁵⁵ وقوله: {سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ} ¹⁵⁶، وقوله: {سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ} ¹⁵⁷، وقوله: {سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ} ¹⁵⁸. كلُّ هذه السَّلَامات (العامة والخاصة) هي سلامات ثناء من الله تعالى على أنبيائه عليهم الصَّلَاةُ والسَّلَام، ولا تسليم فيها لأيِّ نبيء؛ لأنَّ التسليم على الأنبياء وبهم فرض من الله على المؤمنين، أي: (الفرض من الله وليس عليه فرض).

ولهذا جاءت كلمة (سلام) من الله تعالى على رُسُلِهِ حاملة لمفهومٍ يُميِّزُهُم بالنبأ الذي كان سلامًا عليهم وعلى المؤمنين، ومن ثمَّ تعد كلمة (سلام) ضمانًا للأنبياء من القصور أو التقصير، وشاهدة على أدائهم الأمانة، وحملهم ما ترتب عليها من أعباء جسام (فسلام على المرسلين).

154 الصافات: 181.

155 الصافات: 79.

156 الصافات: 109.

157 الصافات: 120.

158 الصافات: 130.

ومع أنَّ السَّلَامَ على الأنبياء لا يقال إلاَّ اعترافًا، فإنَّ سلام الله على الأنبياء ليس اعترافًا؛ لأنَّ الاعتراف لا يكون إلاَّ من مخلوق عاقل (يخطئ، ويصيب، وتدمغه الحجَّة فيستجيب لها)؛ ولذا فسلام الله على الأنبياء سلام عالم الغيب والشهادة؛ مصداقًا لقوله تعالى: {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} 159.

ولأنَّ أقوال المرسلين وأفعالهم وأعمالهم كانت في طاعة الله ومرضاته (فسلام على المرسلين).

وكلمة (سلام) مستمدَّة من اسمه (السَّلَام) الذي هو من أسماء الله الحسنى، وفي اللغة يعني: "البراءة من العيوب والنقائص، ويشمل في مضمونه معاني متعدِّدة كالسكينة والأمان والاستقرار والهدوء" 160.

والسَّلَام "هو الذي سلمت ذاته وصفاته وأفعاله من كلِّ ما لا يليق بكماله، وكذلك من اسم السَّلَام اشتق الإسلام وهو دين الله" 161؛ مصداقًا لقوله تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} 162.

ويقول الإمام ابن القيم: "في اسم السَّلَام جل جلاله قولان: "أحدهما أنَّه مصدر، وإطلاقه عليه كإطلاق العدل عليه، والمعنى: أنَّه ذو السَّلَام، وذو العدل على حذف المضاف، والثاني: أنَّ المصدر بمعنى الفاعل، أي: السَّلَام

159 التوبة 105.

160 محمَّد متولي الشعراوي، أسماء الله الحسنى، القاهرة، أخبار اليوم، قطاع الثقافة ص 149.

161 أحمد عبد الجواد، والله الأسماء الحسنى فادعوه بها، الدار البيضاء، دار الثقافة ص 37.

162 آل عمران 19.

كما سميت ليلة القدر سلامًا، أي: سالمة من كل شر، بل هي الخير لا شرّ فيه¹⁶³.

قال تعالى: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ} ¹⁶⁴ في هذه الآية كل اسم من أسمائه الحسنى يؤكّد على الصّفة التي تسبقه ويحتويها، فالملك هو الله، والقدوس هو الله، والسلام هو الله؛ ولذا فإنّ جميع الأسماء الحسنى هي صفات لله جلّ جلاله؛ ولأنّها صفات الله تعالى فهي بطبيعة الحال تحتوي كل صفات الكمال فيها؛ ولذلك فإن اسم الله تعالى يحتويها.

ولأنّ الله تعالى واحد أحد لا شريك له في الملك وله الأسماء الحسنى؛ كان السّلام صفة من صفاته، ولو لم يكن السّلام صفة لله تعالى لفسدت الأرض؛ ولأنّ الله واحد أحد جاء السّلام صفة للاستقرار والطمأنينة.

وعليه: فالسّلام أمر يعمّ النّاس ويخصّ البعض: يعمّ النّاس باعتباره حقًا عامًّا من السّلام الحقّ، ويخصّ البعض باعتباره لن يكون إلا للذين يعملون عليه؛ ولهذا فالسّلام قوّة لا يُمكن أن يحقّقه الضعفاء؛ ومن ثمّ فالذين استجابوا هم الأقوياء محقّقو الاستقرار والأمن والعدل سلامًا، قال تعالى: {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} ¹⁶⁵، وإن جنحوا للسلم تعني: إن جنح الخصم أو العدو إلى القبول بإحقاق الحقّ فلا ينبغي المكابرة،

163 مشرف على عبد الله، منهج ابن القيم الجوزية في شرح أسماء الله الحسنى. الدمام، دار ابن الجوزية

الطبعة الأولى 2005 ص 279.

164 الحشر 23.

165 الأنفال 61.

وعلى المسلم أن يقبل بذلك قبل غيره؛ مع العلم أن امتلاك القوة هو الذي يجعل العدو ينجح إلى ما يبتغيه المسلم، وهو السّلام وبلا مظالم.

قال تعالى: {وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} 166 الله يدعو إلى دار السّلام، فهو يدعو إلى دار الحق؛ ولأنّ الجنّة لا ظالم ولا مظلوم فيها، ولا سيد وعبد، ولا حاكم ومحكوم، ولا خائف ومخيف، ولا فقير وغني، فإنّها دار السّلام: {إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِنُونَ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَهُمْ مَا يَدْعُونَ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ} 167.

ولذا؛ فالسّلام حُجّة من الله تعالى بها يتمكّن المسلم الجانح إلى السّلام عدلاً من دخول الجنّة، وها هم أولاء الذين دخلوها بسلام يعيشونها وأزواجهم حقيقة فيها يتلذذون من كلّ طيب، وهم في هذا السّلام الدائم يدخل الملائكة عليهم من كل باب، فسلام على المرسلين والصدّيقين الذين أسلموا وجوههم لله ربّ العالمين، قال تعالى: {وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ} 168.

إذن: السّلام هو العنوان العام لكلّ من يريد أن يكون مسلماً، والعنوان الخاصّ للذين أسلموا وجوههم لله تعالى؛ ولذا في أساس السّلام التعميم دون التخصيص، وبالإرادة والاختيار يكون التخصيص سابقاً على التعميم.

166 يونس: 25.

167 يس: 55 - 58.

168 الرعد: 23، 24.

ولأنَّ السَّلَامَ اسمَ اللهِ تعالى، ومصدرٌ للسَّلَامَةِ، ومبعثٌ للإسلام،
وشعارٌ للمسالمة، وتحيَّةٌ للمسلمين، فإنَّه مفتاحُ أمانِ لأهلِ الجنَّةِ { ادْخُلُوهَا
بِسَّلَامٍ آمِنِينَ }¹⁶⁹. أي: ادخلوا الجنَّةَ وأنتم مطمئنون فلن يصاحبكم بعد
اليوم حزن، ولا خوف، ولا ألم، ولا مخمصة، ولا يرهقكم ذلٌّ؛ فقلوه:
(ادْخُلُوهَا بِسَّلَامٍ آمِنِينَ) يحمل في مدلوله مصاحبة السَّلَامِ للدَّاخلين إلى
الجنَّةِ، أي: ادخلوها بقوة السَّلَامِ جلَّ جلاله؛ فهي لكم وأنتم إليها.

إنَّ السَّلَامَ من الله على المرسلين الكرام سلام تكريم؛ لأنَّهم أدوا
الأمانة، وحملوا الرِّسالات، ودعوا العباد لتوحيد الله، وعدم الشرك به، وإقامة
العدل؛ فكانوا خير خلفاء لله على الأرض الدُّنيا على الرِّغم ممَّا ألمَّ بهم من
ابتلاءات، وما واجههم من صعوبات تحدّوها حتى قُهرت.

المرسلون قهروا الصَّعاب:

بُعِثَ المرسلون عليهم الصَّلَاةُ والسَّلَامُ إلى شعوبهم، وأقوامهم،
وقراهم، ومدنهم، وللكافَّة؛ لمواجهة الباطل والتبشير بالحقِّ والعمل على
إحقاقه بالتي هي أحسن، ومع ذلك فإنَّ أسوء المواجهات لهم كانت مع
الأقارب الذين اتخذوا من دون الله أربابًا.

فقد كذبوهم ووصفوهم بما لم يكن فيهم، ومع ذلك صبروا وتحدّوا
الصَّعاب كلَّها حتى قهروها، (فسلام على المرسلين).

فسلامٌ عليهم؛ لأنَّهم كانوا كما شاءهم الله خلفاء في الأرض، لقد
قهروا الصِّعاب الواحدة تلو الأخرى حتى مهدوا السُّبيل المؤدِّية للحقِّ على
الرَّغم من كره الكافرين والمجرمين.

ولهذا فالصِّعاب أمام المرسلين والمؤمنين بإحقاق الحقِّ لم تصمد، ومع
أنَّها لم تصمد فإنَّها تستوجب مزيداً من الجهد كما فعل المرسلون، فسلام
عليهم.

لقد قُهرت الصِّعاب العظيمة على أيدي المرسلين عليهم السَّلَام؛
لأنَّها لم تكن مستحيلاً؛ ولأنَّها الصِّعاب فهي لا تواجه إلاَّ المؤمن الذي
يعمل، أمَّا الكسالى فلا صعب تواجههم.

لذا فقد أثبت المرسلون عليهم السَّلَام أنَّ الصِّعاب لا تصمد أمام
المتحدِّين لها صبراً ومزيداً من الثبات وبذل الجهد الممكن من إنجاز الأهداف،
أو تحقيق الأغراض، أو بلوغ الغايات ونيل المأمول أو الفوز به، ولا مستحيل
في دائرة الممكن حتَّى وإن كان الصَّعب يملأ نصفها، ومن هنا، وجب العمل
على تذليل الصِّعاب؛ كي تيسر الأمور ارتقاءً؛ فالصِّعاب إن لم تداهم
ارتقاءً، لا بدَّ وأن تداهم من لم يداهمها، وحتى لا يحدث ما لا يحمد عقباه
ينبغي تحدِّي الصِّعاب تهيؤاً، واستعداداً، وتأهباً، وعملاً راقياً تنجزه الإرادة
والأمل لا يفارق.

ومع أنَّه لا صعب أمام مزيد من بذل الجهد ارتقاءً، فإنَّه لا ارتقاء
لخرق المستحيل؛ فمن المستحيل أن يكون الإنسان عالماً بلا علم، وفي المقابل
يمكن له أن يصبح عالماً على الرَّغم من الصِّعاب.

ولأنّ الممكن ارتقاء يُمكن من تحدّي الصّعاب، فلم لا يتهياً الإنسان إليها قوّة تدبّر حتى يقهرها إرادة كما قهرها المرسلون عليهم السّلام.

وعليه:

. إذا أردت تحدّي الصّعاب فعليك:

. ألاّ تحصر التفكير في شئونك أو شئون الغير الذي تربطك به علاقة على المتوقع فقط، بل تجاوزه إلى ذلك غير المتوقع حتى وإن كان صعباً.
. تأكّد أنّ الصّعاب لا يستطيع المقاومة إذا تحصّنت له متحدّياً بالحقّ لا بغيره.

. اصمّد فالصّعاب لا يصمّد، أي: عليك أن تعرف أنّ ما يبدو صعباً للبعض لا يبدو كذلك لدى البعض الآخر؛ ولهذا عليك بقبول التحدّي حتى تهزمه كما هزمه المرسلون الكرام عليهم السّلام.

. الصّعاب لا يزيد على كونه حيويّة؛ فينبغي له أن يواجه بها ولا يواجه بغيرها، أي: لا يمكنك أن تهزم خصماً وأنت لم تمتلك ذات السّلاح الذي يمتلكه تقنية، ولكن عندما تمتلك ذات السّلاح؛ فليس له بدّ إلاّ أن يقدرك صلحاً وتصالحاً وعفوًا {وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ} 170.

. مواجهة الصّعاب لم تكن مستحيلة، ولأنّها ممكنة فلم لا تواجه إلاّ

من البعض؟

أقول:

لأنَّ البعض دائماً أفضل من البعض، أي: دائماً المرسلون هم الأفضل، ثمَّ المؤمنون الصّابرون والواعون بأنَّ الحقَّ يُحقَّق فيعملون على إحقاقه تحدّيًا وقهراً للباطل.

. الصّعب على علاقة بالباطل؛ من حيث إنّه لا يصمد إذا ما حدثت معه المواجهة؛ ولهذا الصّعب يُقهر والباطل يُبطل، ولكن لا يكون ذلك إلا على أيدي الصّامدين والمتحدّين الصّابرين الذين يتخذون المرسلين قدوة في القول الحقّ، والفعل الحقّ، والعمل الحقّ، والسُّلوك الحقّ.

. اقبل بدفع الثمن جهداً ووقتاً وإمكانات تنل أضعافها مكاسب وفوائد متى ما استسلم لك الصّعب قهراً.

. تحدّد الخوف الذي يقنعك كسلاً، فاعمل وابذل المزيد من الجهد تجد نفسك منتجاً دون أن تغفل عن تقوى الله، وفي المقابل إن استسلمت له فستجد نفسك متسوِّلاً مع المتسوِّلين على الأرصفة وبين الأزقة.

. أهّب نفسك لتقوى الله تجد الله لك نصيراً، أهّب نفسك للعمل تجد العمل بين يديك، وأهّب نفسك للتحدي حقاً تجد نفسك متحدّيًا للباطل، ومتحدّيًا للحاجة، وأهّب نفسك لمواجهة الصّعاب تجد الصّعاب مستسلمة.

فالتأهّب لتحدي الباطل والظلم يقوّي الإرادة ويرسخ الإيمان في القلب، والتأهّب لتحدي الصّعاب يؤجج في النفس حرارة الاندفاع تجاه الهدف دون خوف مع إصرار على الإنجاز، ومن يتأهّب للشيء عن عزيمة بعد تهيؤ وإرادة واستعداد يستطيع في دائرة الممكن ارتقاءً أن يُنفذ ما يشاء،

وكيفما يشاء، ومتى ما يشاء في مشيئة الله تعالى كما فعل المرسلون عليهم السلام.

ولأنّ لكلّ فعل ردّة فعل، إذن: فمن يتأهّب لأداء الفعل الصّعب ارتقاءً لا بدّ أن يكون متأهّباً لما يترتب عليه من ردّة فعل، وإلا سيفاجأ بما هو مؤلم.

وحتى لا تحدث المفاجآت في كلّ مرّة؛ فأخذ الحيطّة والحذر عند تحدّي الصّعب ضرورة لمن شاء أن يتدبّر أمره بلا عِلل، ولكن هذه ليست الغاية، الغاية أن تسود الحياة بين النّاس بلا مغالبة، ولا هيمنة، ولا حرمان، ولا تمدّد على حساب الآخرين، ولا اتكالية على الغير؛ ولذلك فالغاية من بعد الحلّ بلوغ المكانة الممكنة من بلوغ رفعة الشّأن، وعيش النّعيم، وهذه مع أنّها غايات، فإنّها ستظلّ في دائرة الممكن ارتقاءً بين متوقّع وغير متوقّع، والعاملون عليها وحدهم يتهيّؤون لها، ويستعدّون إليها، ويتأهبون لتحدّي الأمر الصّعب، ثمّ يفعلون ويعملون حتى يبلغوا الغايات غاية بعد أمل يُمكن من نيل المأمول.

ومن هنا، تعد الصّعب مجموعة من المعيقات التي لا يتمّ تجاوزها إلاّ بالإزاحة، أي: لا إمكانية لإنجاز الأهداف، وتحقيق الأغراض، وبلوغ الغايات، ونيل المأمولات ما لم تُزح العوائق من السبيل المؤدّي إلى ذلك، ولكن بالتي هي أحسن، وبخاصّة بعد أن يتمّ تبين الحقّ من الباطل كما بيّنه المرسلون لكفار عصورهم ومشركيها حتى قهروهم، وقهروا الصّعب معهم

(فسلام على المرسلين) قال تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ
الْغَيِّ} 171.

وعليه:

فالصِّعَابُ إِنْ لَمْ تَدَاهِمِ تَحَدِّيًّا، تَدَاهِمُ مِنْ لَمْ يَدَاهِمَهَا، وَحَتَّى لَا يَحْدُثَ
مَا لَا يَحْمَدُ عَقْبَاهُ يَنْبَغِي تَحَدِّي الصِّعَابِ تَهَيُّؤًا، وَاسْتِعْدَادًا، وَتَأَهُّبًا، وَعَمَلًا
رَاقِيًا تَنْجِزُهُ الْإِرَادَةُ وَالْأَمَلُ لَا يَفَارِقُ، وَالْإِيمَانُ بِاللَّهِ تَعَالَى مُتَّصِلٌ لَا يَنْفَصِلُ
(فسلام على المرسلين) الَّذِينَ تَحَدَّوْا الصِّعَابَ وَمَهَّدُوا السُّبُلَ إِلَى نَشْرِ السَّلَامِ
بَيْنَ النَّاسِ.

السَّلَامُ عَلَى الْمُرْسَلِينَ اعْتِرَافًا:

السَّلَامُ عَلَى الْمُرْسَلِينَ مِنْ قِبَلِ الْمُؤْمِنِينَ هُوَ سَلَامٌ اتِّبَاعٌ وَاعْتِرَافٌ؛ اتِّبَاعٌ
لِمَا قَالَ اللَّهُ لِلْمُرْسَلِينَ: (سَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ) الَّذِينَ نَذَرُوا أَنْفُسَهُمْ لِلَّهِ، وَخَلَصُوا
لِرَبِّهِمْ وَلِرِسَالَاتِهِمْ فَدَعَوْا، وَبَشَرُوا، وَأَنْذَرُوا، وَحَرَّضُوا، وَجَاهَدُوا حَتَّى أَتَمُّوا مَا
أُرْسِلُوا بِهِ وَأَمَرُوا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؛ فَسَلَامٌ عَلَيْهِمْ (سَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ)؛ أَمَّا
الاعْتِرَافُ اتِّبَاعًا: فَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُقَرَّنُونَ بِأَنَّ الْمُرْسَلِينَ قَدْ أَتَمُّوا رِسَالَاتِهِمْ عَلَى
الرَّغْمِ مِنَ الصِّعَابِ الَّتِي وَاجَهْتَهُمْ وَقَدْ هَزَمُوهَا، وَبِالتَّالِي فَإِنَّ مَا أَنْجَزَهُ الْمُرْسَلُونَ
لَيْسَ بِالْأَمْرِ الْهَيْنِ، وَلَوْ كَانَتْ تِلْكَ الصِّعَابُ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ تَوَاجَهَ الْمُؤْمِنِينَ
فَقَدْ لَا يَتِمَكَّنُونَ مِنْ مَوَاجَهَتِهَا وَقَهَرُهَا؛ وَلِهَذَا فَلَيْسَ لَهُمْ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا: (سَلَامٌ
عَلَى الْمُرْسَلِينَ).

مفاهيم السّلام

السّلام أمنًا:

مع أنّ لمفاهيم الكلمة مشتقاتها فإنّ جميع المشتقات السّلامية هي مستمدّة من اسم الله (السّلام)؛ ولهذا فإنّ مفهوم السّلام المستمدّ من اسمه السّلام جلّ جلاله هو مفهوم ضمان الطّمانة والاستقرار الآمن مع وافر الإخلاص؛ إذ لا غدر، ولا خيانة، ولا مظلمة، ولا عدوان، ولا انتكاسة مفاجئة إلاّ وفاءً سائرًا وثقة واحترامًا متبادلين.

ولأنّ الثّقة المتبادلة مصدر الطّمانية بين النّاس فاعتمادها قيمة بين النّاس ضرورة، قال تعالى: {وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا} ¹⁷²، أي: اجعلوا الثّقة قيمة مقدّرة بينكم ومع الغير، وأعطوا الفرصة وقتها، ولا تكونوا من الغافلين، قال تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ} ¹⁷³، يفهم من هاتين الآتين الكريمتين وجوب التبشير بكلّ ما يؤدّي إلى السّلام ويحقّقه بمختلف الأساليب والسّبل الميسّرة لتحقيقه كما يسرها المرسلون بعد تحدّ للصعاب وقهرها فسلام على المرسلين.

قال تعالى: {وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ} ¹⁷⁴ تؤكّد هاتان الآيتان أنّه لا سبيل

172 النساء: 94.

173 المائدة: 15، 16.

174 الأنعام: 126، 127.

تستقيم إلا بالسلام الآمن، ولا دار يركن إليها ويستقرُّ فيها إلا دار السلام الآمن، وخير دياره الجنة؛ ولهذا يدعو الله إليها؛ مصداقاً لقوله تعالى: {وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} ¹⁷⁵.

إذن: الدعوة من الله مفتوحة إلى دار السلام، فمن شاءها فالعمل من أجل سلامته كما عمل عليها المرسلون عليهم الصلاة والسلام.

السلام تحية:

السلام تحية المسلمين وهو بمنزلة شعار إعطاء الأمان، قال تعالى: {دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ} ¹⁷⁶، أي: إنَّ للمسلمين رسالة (توحيد الله مركزها)، ولهم من مفاتيح الرحمة ما لهم، ولكن أعظمها (السلام)، أي: إنَّ تحية الإسلام إعلان المسالمة للجميع، ولا عدوان ولا مظالم؛ ولهذا فالسلام مبادلة بين النَّاسِ، اعهد إليَّ بالسلام نعهد إليك بسلام، ونبادلِكَ إيَّاه، قال تعالى: {وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ} ¹⁷⁷.

السلام في هذه الآية يأخذ أكثر من مفهوم؛ فقوله: (قَالُوا سَلَامًا) ليس بالضرورة أنَّهم قالوا: (السلام عليك) بل الأقرب للمفهوم أنَّهم قالوا: كلُّ ما يطمئن القلب والنفس، وبالتالي ردَّ عليهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام بما يطمئن القلب والنفس، أي: كان الحوار بين من تطمئن قلوبهم بذكر الله.

175 يونس: 25.

176 يونس: 10.

177 هود: 69.

أما قولهم: سلام عليك يا إبراهيم، أو سلام عليك وزوجك، فهذه تحية لا تكون إلا بداية اللقاء وقبل الجلوس.

ولهذا جاء قوله تعالى: (قَالُوا سَلَامًا)، ولم يقل: (أَلْقُوا سَلَامًا) أو إِنَّ إِبْرَاهِيمَ بَادَلَهُمْ (تَحِيَّةَ سَلَامٍ)؛ ولَأَنَّكُمْ (قَالُوا سَلَامًا) فهم قالوا كل ما يطمئن ولم يتركوا شيئاً يطمئن القلب والنفس إلا وقد قالوه، وتبادلوه، ومن هنا يتضح الفرق بين قول: (السَّلَام) وقول شيء منه، أي: إِنَّ تَحِيَّةَ السَّلَامِ لم تكن قول سلام فهي مجرد تحية، ومع أنّها مجرد تحية فإنّها تشعرك سلاماً؛ مصداقاً لقوله تعالى: {تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ} ¹⁷⁸. وتحيّتهم فيها سلام، بمعنى أنّ التحية لم تكن سلاماً كاملاً ولا تاماً، ولكنها استشعار سلام؛ لأنّ مفهوم تحية الإسلام يتضمّن السَّلَام فيه.

إذن: هناك فرق كبير بين مفهوم السَّلَام تحية، والسَّلَام التزاماً وعهداً أي: (سلام لا تنفصم عراه)؛ ولهذا فقول السَّلَام: إفصاح عن غاية، وعن مأمول؛ مصداقاً لقوله تعالى: {فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} ¹⁷⁹، فالصفح هنا تجاوز عمّا عملوا، وبعد الصفح ينبغي الإفصاح لهم عن السَّلَام؛ لكي يعلموا ما لهم وما عليهم، ولعلّهم به يلتزمون، فإن التزموا بالسَّلَام سيعرفون أنّ السَّلَام مكنم الحلول الآمنة، وهذا ما انتهجه المرسلون فسلام على المرسلين.

178 إبراهيم: 23.

179 الزخرف: 89.

السَّلَامُ مَجَازَةً إِحْسَانًا:

السَّلَامُ عندما يُتَوَجَّحُ به من يُتَوَجَّحُ، أو يُمنَحُ لمن يُمنَحُ جزاءً إِحْسَانًا من الله تعالى، لا شكَّ أَنَّهُ يُدْخِلُ أَهْلَهُ الْجَنَّةَ الواسعة كما أُدْخِلَ إِلَيْهَا الْأَنْبِيَاءَ الْكِرَامَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فقد جازى الله أنبياءه العظام مجدًّا خلد ذكراهم، وأسكنهم فسيح جنَّاته على ما تحمَّله من أعباء جسام في سبيل التبليغ والتبشير والهداية والدَّعوة مصداقًا لقوله تعالى: {وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ} ¹⁸⁰؛ فالله جلَّ جلاله مجازٍ عباده وفقًا لأعمالهم خيرًا لأهل الخير، وشرًّا لأهل الشرِّ، قال تعالى: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} ¹⁸¹.

ولأنَّ جزاء الإحسان عند الله إِحْسَانًا، جاء جزاء نوح عليه السَّلَام من الله سلامًا، قال تعالى: {سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} ¹⁸²، وهكذا دائمًا الله يجزي المحسنين سلامًا؛ مصداقًا لقوله تعالى: {سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} ¹⁸³، وقال: {سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} ¹⁸⁴، وهكذا قال: {سَلَامٌ عَلَى إِيْلَ يَاسِينَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} ¹⁸⁵.

180 الصافات 181.

181 الزلزلة 7، 8.

182 الصافات 79، 80.

183 الصافات 109، 110.

184 الصافات 120، 121.

185 الصافات 130، 131.

ولأنَّه الجزاء؛ فالجزاء يتنوع من العلم والحكم والحكمة والسَّلَامَة والأمن إلى الفوز بالجنة وما فيها من عظام الخلد والبقاء الدائم، قال تعالى: {وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} ¹⁸⁶، وهكذا كان الجزاء لموسى عليه السَّلَام: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} ¹⁸⁷.

وعليه: فإنَّ السَّلَام من الله جزاء، والسَّلَام من الملائكة طاعة، والسَّلَام من المؤمنين اعتراف، فالسَّلَام حق لا يمنح إلا لأصحابه الذين به تمجد سيرهم وأفعالهم وأعمالهم، وبه يعظمون.

السَّلَام من الله ليس قولاً يقال، بل السَّلَام من الله تجسيد مكارم ونعيم مع تيسيرهما بين أيدي من جازاهم الله به فسلام على المرسلين؛ ولأنَّه الجزاء الأوفى من الكريم عزَّ وجلَّ فلا تفاخر من بعده، بل من بعده الحمد لله رب العالمين قال تعالى: {دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأٰخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} ¹⁸⁸.

سلام على المرسلين من بعد الابتلاء:

الابتلاء ملازم لسير الأنبياء بوجه عام، ولا نكاد نجد نبياً من أنبياء الله إلا وقد مرّت به صنوف من الابتلاء، وكأنَّ الابتلاء لازم أساس لكلِّ

186 يوسف: 21، 22.

187 القصص: 14.

188 يونس: 10.

نبي فينتج عنه صبرٌ وعزاءٌ لكلِّ من آمن بالله ربًّا، وبأيِّ رسولٍ مرسلٍ من عند الله سبحانه وتعالى.

وبالرِّبط بين ابتلاءات الأنبياء، وابتلاءات أبيهم آدم يتبيَّن الآتي:

- كل أنبياء الله كانت ابتلاءاتهم في الأرض.

- سيدنا آدم أبو البشر كانت ابتلاءاته في السَّماء.

والابتلاء في حقّ الأنبياء مآله إلى الخير، قال تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} ¹⁸⁹ إِنَّهُ يَبْلُوهُمْ لِيَبْصُرَهُم أَيُّهُمْ أَطْوَعُ لِلَّهِ، وأشد استمرارًا على الطَّاعة؛ لأنَّ من على هذا الحال هو الذي يفوز بالجنَّة؛ فبيَّن تعالى أنه كُلف لأجل ذلك لا لأجل أن يعصى، وقيل: معنى نبلوهم بمعنى نعلّمهم أيًّا منهم أحسن عملاً 190.

وعليه فكان ابتلاء آدم بين اثنين:

ملك مطيع مستفسر، {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} 191.

189 الكهف: 7.

190 تفسير الرازي، ج 8، ص 371.

191 البقرة: 30.

2- جن عاص كافر، {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا} 192.

وقد اجتاز آدم الابتلاءين بالإنباء والاستغفار والتوبة، فكان الخليفة على الأرض؛ فسلام عليه.

وهكذا كانت ابتلاءات إبراهيم عليه الصلاة والسلام كثيرة متعدّدة، يظهر كلّ ابتلاء منها من الصفات التي يجب على من يؤمن بالله تعالى أن يقتدي به فيها.

ومن ابتلاءات إبراهيم عليه الصلاة والسلام:

. ابتلاؤه في أبيه (آزر) المصّر على الشرك بالله، الرافض لاتباع الحقّ فشكّل ذلك عبثاً على إبراهيم عليه الصلاة والسلام نتيجة ما يكنّه له من حبّ، فاستمر معه محاولاً إقناعه بترك عبادة ما لا ينفع إلى عبادة الواحد المحيب، قال تعالى: {إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُعْنِي عَنْكَ شَيْئًا يَا أَبَتِ إِنَّي قَدْ جِئْتُكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا يَا أَبَتِ إِنَّي أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا} 193.

. ابتلاؤه في قومه الذين كفروا فكان عليه:

192 الكهف 50.

193 مريم 42 - 45.

إرشادهم: قال تعالى: {قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ قَالَ
بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ
الشَّاهِدِينَ} 194

محاقتهم: قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزرَ اتَّخِذْ أَصْنَامًا آلِهَةً
إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي
فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ
قَالَ لئن لم يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً
قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ} 195.

. ابتلاه في نفسه بالرّمي في النّار: وهذا يحوي عدة ابتلاءات منها:

. إرهاب قومه له وتهديدهم، ابتلاء.

. جمع الحطب، وإشعال النّار أمامه، ابتلاء.

. رؤية إبراهيم عليه الصّلاة والسّلام النّار ملتهبة، ابتلاء.

. إلقاءه عليه الصّلاة والسّلام على الحطب المشتعل نارًا، ابتلاء.

وفي كلّ ذلك ظهر عنده التّحدّي بالإيمان والصّبر والثبات على المبدأ

الإيماني بالله تعالى.

. ابتلاه بذبح ابنه.

194 الأنبياء: 55، 56.

195 الأنعام: 74 - 78.

كلّها كانت على إبراهيم سلامًا كما كانت النار عليه بردًا وسلامًا؛
فسلام على إبراهيم، وسلام على المرسلين، والحمد لله ربّ العالمين.

وهكذا تعرّض الأنبياء من بعده للابتلاءات؛ فقد تعرّض النبي
يوسف عليه السّلام للابتلاءات الشديدة، ولكنّه سلم منها جميعًا؛ ذلك
لأنّه نبي الله ورسوله الذي اصطفاه وجعله آية. روى أنس رضي الله عنه قال:
"أوحى الله تعالى إلى يوسف عليه السّلام قائلاً: "من أستنقذك من القتل
حين همّ إخوتك أن يقتلوك؟ قال: أنت يا ربّ. قال: فمن استنقذك من
الجبّ إذ ألقوك فيه؟ قال: أنت يا ربّ. قال: فمن استنقذك من المرأة التي
همّمت بك؟ قال: أنت يا ربّ. قال: فما بالك نسيتني، وذكرت آدميا؟ قال:
يا ربّ، كلمة، تكلمّ بها لساني! قال: وعزّيتي لآخذنك في السّجن بضع
سنين" 196.

كان يوسف عليه السّلام جميلًا في أحسن تقويم، بل كما ذكر
الرّسول عليه الصّلاة والسّلام أنّه أعطي شطر الجمال 197، إنّه جمال أهل
الجنة؛ ولهذا فُتنت امرأة العزيز التي راودته في بيتها، وكذلك نسوة المدينة
اللاتي قطعن أيديهنّ؛ فهو مؤمن على الكمال والرّفعة، وعلى الفضائل في
مرضاة الله تعالى الذي قال: {وَرَاودَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ
الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ: مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ

196 جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، ص 561.

197 فضائل الصحابة، محمّد حسن عبد الغفار، 7، ص 2، بترقيم الشاملة آليا.

الظَّالِمُونَ} 198، وهكذا كما سبق تبيانه كانت الابتلاءات ليوسف،
وهكذا سلم يوسف منها؛ فسلام على يوسف 199.

وعليه: فَإِنَّ الْإِبْتِلَاءَ قَبُولُ بَدْفَعِ الثَّمَنِ فِي سَبِيلِ اسْتِمْرَارِ الطَّاعَةِ
ومقاطعة المعصية وتحمل ما يترتب عليها من أعباء في سبيل استمرار الطاعة
والكفر بالكفر.

وَابْتَلَيْتَهُ تَعْنِي: "اِخْتَبَرْتَهُ، وَبَلَاةٌ يَبْلُوهُ بَلُوءًا: إِذَا جَرَّبَهُ وَاخْتَبَرَهُ، وَابْتَلَاهُ
اللَّهُ: اِمْتَحَنَهُ" 200.

ونحن نقول:

مفهوم الابتلاء غير مفهوم البلاء، وإن كان المصدر اللغوي واحداً؛
فالابتلاء تمسك بالحق عن وعي وإرادة؛ مما يجعل نتائجه في دائرة الموجب
والمفضل والمحمود، أمّا البلاء عندما يكون في دائرة النسبية السلبية فهو من
مجموع المصائب التي ينغمس البعض فيها كفرًا، أو فسقًا، أو شرًا، أو شرًا
مما يجعل نتائجهما في دائرة السالب المرفوض والمذموم قيمياً وأخلاقياً، قال
تعالى: { وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً
حَسَنًا } 201، يفهم من هذه الآية الكريمة أنّ الابتلاء غير الإبلاء؛ فالابتلاء
هو أعمال وأفعال نتائجهما مكلفة بالفوز عن إرادة ورغبة ورضا، والإبلاء هو
بذل الجُهد وتسخير الإمكانيات أحسن التسخير مما يجعل العمل والفعل

198 يوسف: 23.

199 دروس الشيخ محمد الدويش، 13، ص 35، بترقيم الشاملة آلياً.

200 لسان العرب، ج 14، ص 83.

201 الأنفال: 17.

نتاج مثابرة واجتهاد، وهذه المثابرة محمودة في الرزق وكسبه والجهاد حتى تحقيق النصر والنجاح في تجاوز العقبات إذا ما اعترضت السبل المؤدية إلى تحقيق النصر أو النجاح، وهنا يعود البلاء الحسن إلى ما يبذل من جهد إبلاء، ولا يعود إلى ما يُرتكب من بلاء من أيدي الناس، أو على أيديهم.

والمبتلى: هو الذي يتعرّض للامتحانات في دينه، أو جسمه، أو نفسه، أو عقله، أو ممتلكاته، أو أسرته، أو عمله ومع ذلك ينجح في جميع الامتحانات التي يتعرّض لها بتفوّق وفوز مع فائق الطمأنينة القلبية، وهذا حال جميع الأنبياء الكرام الذين منهم يونس صلّى الله عليهم وسلّم الذي تعرّض إلى ابتلاءات من صعبة إلى أصعب.

وعليه: فالابتلاء يكون في الخير دون الشر، والبلاء قد يكون في الخير وقد يكون في الشر حفظنا الله من كلّ شرّ وألا يُحمّلنا ما لا طاقة لنا به، ويعفو عنّا، ويغفر لنا، ويرحمنا إنّه الرحمن الرحيم.

إذن: الله جلّ جلاله يتلي عباده الصّالحين؛ ليزدادوا صلاحًا وليستمروا عليه وهم به متمسّكون دون تردّد، أمّا البلاء في دائرة السلبية فلا يكون إلّا من أيدي الناس؛ مصداقًا لقوله تعالى: {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ} 202، أي: إذا أصابك ما أصابك من الله فهو ابتلاء (خير)، أمّا ما يصيبك من يدك أو أيدي الناس فهو البلاء (الشرّ)؛ ولأنّ البلاء من أيدي الناس قال تعالى: {وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ

مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُم سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ
وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ {203}.

يُفْهَمُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ مَا كَانَ يَقُومُ بِهِ فِرْعَوْنُ مِنْ ظُلْمٍ لِلنَّاسِ
هُوَ بَلَاءٌ عَلَيْهِمْ (شَرٌّ) فَهُوَ الَّذِي سَامَهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ بِلَاءً، وَهُوَ الَّذِي ذَبَّحَ
أَبْنَاءَهُمْ بِلَاءً.

وَعَلَيْهِ: فَالِابْتِلَاءُ اخْتِبَارٌ لِمَنْ هُمْ عَلَى دَرَجَاتٍ الرَّفْعَةُ إِيمَانًا خَالِصًا
وَطَاعَةً لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى؛ وَلِهَذَا جَاءَ فِي لُغَتِنَا الْعَرَبِيَّةِ مَعْنَى ابْتَلَيْتَهُ ابْتِلَاءً بِمَعْنَى
اخْتَبَرْتَهُ اخْتِبَارًا.

وَالْمُبْتَلَى هُوَ الْمَجْرَبُ الَّذِي أَثْبَتَ صَبْرَهُ عَلَى الطَّاعَةِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ مَعَ
الْقَبُولِ بِكُلِّ مَا يَتَرْتَّبُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ أَعْيَابٍ وَمَصَاعِبٍ وَامْتِحَانَاتٍ أَوْ تَجْرِبٍ.
وَلِهَذَا؛ فَالِابْتِلَاءُ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الْخَيْرِ، فَمَنْ صَبَرَ عَلَى ابْتِلَائِهِ فَازَ
وَكَسَبَ، وَمَنْ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى ابْتِلَائِهِ انْهَزَمَ وَخَسِرَ، قَالَ تَعَالَى: {فَأَمَّا الْإِنْسَانُ
إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ
عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ} {204}.

وَلِأَنَّ يُونُسَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولَ مُجْتَبَى مِنَ اللَّهِ اجْتِبَاءً فَقَدَ
ابْتِلَاهُ اللَّهُ بِمَا كَانَتْ نَتَائِجُهُ خَيْرًا كَثِيرًا، فَجَعَلَهُ حَاصِدًا لِمَا زَرَعَ مِنْ خَيْرَاتِ
حَسَانٍ، وَمِنْ هَذِهِ الْابْتِلَاءَاتِ:

. ابْتِلَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِمَعْصِيَةِ قَوْمِهِ الْأَمْرِ الَّذِي اجْتَبَى لَهُ رَسُولًا.

203 البقرة: 49.

204 الفجر: 15، 16.

. ابتلي بدحضه من الفلك المشحون، مصداقاً لقوله تعالى: {فَسَاهَمَ

فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ} 205.

. ابتلاه بالتقام الحوت له؛ مصداقاً لقوله تعالى: {فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ

وَهُوَ مُلِيمٌ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَّيْتُ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ

يُبْعَثُونَ} 206.

. ابتلاه بالنبذ في العراء وهو سقيم؛ مصداقاً لقوله تعالى: {فَنَبَذْنَاهُ

بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ} 207.

. كان مُبتلىً بضيق أنفاسه في بطن الحوت مما جعله مكظومًا، أي؛

في ظلمة، قال تعالى: {وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ

مَكْظُومٌ} 208.

ولقد كُلت ابتلاءات يونس عليه السَّلام بالسَّداد والنَّجاح والفوز

العظيم الذي منه:

. اصطفاؤه للرَّسالة، قال تعالى: {وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ} 209.

205 الصافات: 141.

206 الصافات: 142 . 144.

207 الصافات: 145.

208 القلم: 48.

209 الصافات: 139.

. التقام الحوت له كان سبباً لنجاته من الغرق؛ إذ التقمه الحوت
التقماً قبل أن يقع في الماء ويغرق، قال تعالى: {فالتقمه الحوت وهو
مليم} 210.

. عدم لبثه في بطن الحوت، قال تعالى: {فلولا أنه كان من
المسبحين للبت في بطنه إلى يوم يُبعثون فنبذناه بالعراء وهو سقيم} 211.
. نعمة الرعاية والعناية بعد أن تم نبذه بالعراء، قال تعالى: {لولا أن
تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم} 212.

. إنبات شجرة اليقطين عليه؛ لتكون له مظلة تظله، قال تعالى:
{وأنبتنا عليه شجرة من يقطين} 213.

. اجتبأوه وجعله من الصالحين، قال تعالى: {فاجتبأه ربه فجعله من
الصالحين} 214.

. إيمان قومه جميعاً دون استثناء لواحد منهم؛ مصداقاً لقوله تعالى:
{وأرسلناه إلى مئة ألف أو يزيدون فآمنوا فممتعناهم إلى حين} 215.

ولأنَّ الابتلاء لا يكون إلا مع الأنبياء والمرسلين والصالحين وأهل
الخير الكرام؛ ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم، فإنَّ ابتلاء موسى وقومه جاء به إلى

210 الصافات: 142.

211 الصافات: 143 . 145.

212 القلم: 49.

213 الصافات: 146.

214 القلم: 50.

215 الصافات: 147، 148.

فرعون الطاغية، فصبر وصمد وقاوم وانتصر، قال تعالى: {وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ} 216.

كذلك موسى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد ابتلي بقومه الذين تخلّوا عند الحاجة إلى دخولهم بيت المقدس وهم يستهزئون: {قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ} قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} 217.

وعليه: فالمبتلون هم الذين اختصَّهم الله بمزيدٍ من التقوى، ومحافته، واتباع أمره في الكبيرة والصَّغيرة؛ ولهذا تكون عاقبة الابتلاء فوزًا ورحمة للمرسلين؛ فسلام على المرسلين.

وكما سبق أن بينّا مع الأنبياء الكرام الذين سبق ذكرهم صلوات الله وسلامه عليهم بأنَّ الابتلاء صفة من صفاتهم فالأمر ينطبق بالتمام على سليمان باعتباره واحدًا منهم؛ ولذلك فالمبتلى هو الموثوق فيه والموثوق منه؛ لأجل أن يتخذة النَّاسُ أسوة حسنة لهم في كلِّ ما يقال أو يُفعل أو يُعمل. والابتلاءات دروس عظيمة في الحياة لا يُلقَّاها إلا ذو حظ عظيم؛ ولذا فالعظماء من الصِّدِّيقين والأنبياء والرُّسُل الكرام تعرَّضوا لهذه الدروس،

216 - البقرة: 49.

217- المائدة: 24 .26.

وَبَلَّغُوا رِسَالَاتِهِمْ وَاذَعُوا بِهَا مَا يَأْمُرُونَ، فَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

قال تعالى: {وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ
أَنَابَ} {218، فتنة سليمان بما فُتِنَ به هي ابتلاء ترتب عليه نجاح وفوز
لسليمان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكان من الوارثين في الدارين فسلام على
سليمان و سلام على كل المرسلين.

ولأنَّ الابتلاء لا يكون إلا لصاحب رسالة؛ ليكون الاختبار بأسبابها
ليس هينًا، فأصحاب الرِّسالات الخالدة الذين اصطفاهم الله لم تكن الطرق
مفروشة لهم بالورود، بل ممتلئة بالصِّعاب والظُّروف الشديدة فصراعهم مع
كفرة ومشركين ومنافقين ينقضون العهود، ويخونون المواثيق التي يبرموها، وفي
مقابل ذلك يكون أصحاب الرِّسالات صادقي الوعد والعهد ولا يُبدلون
تبديلًا؛ ولأنَّ محمَّدًا رسول الله هو الرِّسول الخاتم فكانت الصِّعاب في
مواجهته أكثر صعوبة وشدَّة، ومع ذلك لقد كان صابرًا على الأذى من
أجل أن تعم رسالته الكافَّة طاعة لأمر الله؛ ولهذا تعرَّض لصدِّ من المنافقين
لمن أراد أن يأتي إليه ليعلم بالإسلام، الذي يدعو محمَّد إليه برسالته الحقَّة،
قال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ
يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا} {219.

ولم يقتصر الأمر عند حدِّ المنافقين وصدِّهم النَّاس كي لا يدخلوا
الدين أفواجًا، بل تعدَّاه إلى محاربة الرِّسول من قبل الذين همَّوا بإخراجه، قال

218. ص: 34.

219 - النساء: 61.

تعالى: {أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ
أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} 220.

ومع أنَّ الرَّسُولَ عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ بُعثَ للكافَّةِ فإنَّ البدايةَ كانت
بالأقربين، وأولئك الأقربون بعضهم هجر القرآن بالابتعاد، وبعضهم هجره
بالتقوُّل فيه افتراءً؛ وذلك بقولهم ما ليس حقًّا، قال تعالى: {وَقَالَ الرَّسُولُ
يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا
مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا} 221.

وأولئك الكفرة الفجرة هم الذين يتناجون بالإثم والعدوان ومعصية
الرَّسُولِ؛ مصداقًا لقوله تعالى: {وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ
وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحْيِكَ بِهِ اللَّهُ} 222.

ولأنَّ الله تعالى أمر الرَّسُولَ بأن يبشِّرَ عشيرته الأقربين، فدعاهم إلى
الهدى طاعة لله تعالى، فأمن من آمن وكفر أقربهم عائليًّا إليه ألا وهو عمُّه
أبو لهب الذي نزلت فيه آية شاهدة على كفره؛ ليكون كفره وضلاله
ومعصيته لرسول الله شاهدًا عليه إلى يوم القيامة، قال تعالى: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي
لَهَبٍ وَتَبَّ} 223

ومع كلِّ الشدائد التي تعرَّض لها رسول الله ابتلاءً كان صامدًا
متحدِّيًا بالحقِّ كلِّ الباطل؛ فنصره الله في كلِّ مرَّةٍ، قال تعالى: {إِلَّا تَنْصُرُوهُ

220 - التوبة: 13.

221 - الفرقان: 30، 31.

222 - المجادلة: 8.

223 - المسد: 1.

فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْعَارِ إِذْ يَقُولُ
لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا
وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ {224.

ولأنَّ رسول الله عليه الصَّلَاة والسَّلَام بُعث لأُمَّة أُمِّيَّة تجهل أمر ربِّها
ورسالته لها في الحياة فكانوا قومًا على الغلظة والشدَّة، ممَّا جعل بعضهم غير
متأدِّبين في مخاطبة رسول الله، وهم ينادونه من وراء الحجرات؛ مصداقًا لقوله
تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} {225،
أي: إِنَّ أَكْثَرَ الْمُنَادِينَ لَكَ يَا مُحَمَّدٌ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ هُمْ عَلَى الضَّلَالَةِ
وَالسَّفَاهَةِ فَخَذْ حَذْرَكَ وَلَا تَصَدَّقْ أَقَاوِيلَهُمْ، وَلَنْ يَضُرَّكَ شَيْءٌ.

والنتيجة المسبقة أنَّ الذين يشاقون الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى
سَيَكُونُونَ حَطْبًا مِنْ حَطْبِ جَهَنَّمَ، قَالَ تَعَالَى: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ
بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ
وَسَاءَتْ مَصِيرًا} {226، ولهذا لا يحزنك يا مُحَمَّدُ الَّذِينَ يَسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ،
وَهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَحْرِفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ مَعْصِيَةً لِلْأَمْرِ الَّذِي
يَسْتَوْجِبُ مِنْهُمْ الطَّاعَةَ، وَلَأَنَّهُمْ كَفَرُوا وَأَشْرَكُوا وَنَافَقُوا فَلَهُمُ الْخِزْيُ فِي الدُّنْيَا
وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ؛ مِصْدَاقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا
يَحْزُنَكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ

224 - التوبة: 40.

225 - الحجرات: 4.

226 - النساء: 115.

قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ {227؛
فسلام على محمد، وعلى جميع المرسلين والحمد لله رب العالمين.

سلام على نبي الكافة سلام على المرسلين

قال الله تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} {228}. قال: (جاءكم رسول من أنفسكم) ولم يقل: (جاءكم رسول منكم)؛ حتى لا يقتصر الخطاب على قريش أو على قومه الذين ينتمي إليهم؛ لذلك نجد القرينة الموضحة (بالمؤمنين رؤوف رحيم) أخرجت المعنى من الخصوص إلى الشمول والعموم، فمن آمن بهذا الرسول، كائنًا من كان، فقد تجاوز العرق واللون، والتاريخ والجغرافيا، والزمان والمكان، فلا يقتصر على قوم أو شعب أو أمة، وهذا يعني: أنه نبي الكافة، ونبي الكافة، هو النبي الخاتم الذي هو من أنفسهم.

سلام على المرسلين واحديَّة:

كلُّ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ نُبِّئُوا بِوَاحِدِيَّةِ اللَّهِ، وَأُنْبِئُوا بِأَسْرَارِ مِنْهُ، وَكَلَّفُوا لِلدَّعْوَةِ مَوْحِدِينَ وَمُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَمَحَرِّضِينَ، وَجَمِيعَهُمْ أَمَمًا مَا أَرْسَلُوا بِهِ عَلَى الرَّغْمِ مِنَ الصَّعَابِ وَالشَّدَائِدِ الَّتِي وَاجَهْتَهُمْ (فسلام على المرسلين).

227 - المائة: 41.

228 - التوبة: 128.

ولهذا فسلام الله على المرسلين تحمل في مفهومها الجزاء الأوفى (الفوز بالجنة الواسعة)، أمّا من المؤمنين فسلام على المرسلين تعني: المباركة والتمجيد والتسليم بالأنبياء وما أنزل عليهم، وما فعلوه بغاية واحديّة الله، والدعوة لإحقاق الحقّ والعدل وفقاً لمشيئته تعالى؛ وذلك بغاية صبغ الأرض (صنع الله) بصفة الواحدية.

والواحدية: صفة من الصفات المتعدّدة للواحد الذي لا يتعدّد (الله تعالى)، وفي مضمون كلمة الواحدية احتواء القوّة، ولا مقارنة؛ لانعدام الشبيه والمثيل والهيئة والصورة، وهي لا تنسب إلّا للواحد المتفرد بالأمر المطلق، وفعلها واحدي: (كُن)، ولا جهد يبذل سوى الأمر إصدارًا، ومصدر الواحدية الواحد الأحد.

وهي القوّة المطلقة التي يُرضخ لها طوعًا أو كرهًا وفقاً للمشيئة القاهرة، إنّها المفروضة التي لا بدّ أن تكون فكانت، والأخذ بها لا يكون إلّا عن إرادة، إذ لا إكراه في الدين؛ فهي في الوقت الذي لا تكون فيه للرأي، خاضعة للإيمان بها، وهي المعجزة التي لم يكن الإيمان بها معجزًا، وهي كما تعود صفة إلى الواحد الأحد، تعود إليه أفعالًا متفردة، أي: صفة الواحد وأفعاله، كما هو حال صفتي: الرّحمن والرّحيم؛ فالرّحمن مصدر الرّحمة، والرّحيم فاعلها (محقّق أفعالها مشيئة) والواحد الأحد المتفرد بها.

ومن ثمّ فالواحدية ليست الوجدانية؛ لأنّ الوجدانية صفة النقص، أمّا الواحدية فصفة الكمال، وللتوضيح وجب إظهار مفاهيم كلّ من: (الواحدية، الأحديّة، والأحادية).

الواحدية: صفة اسمية وفعلية للواحد الأحد، تحتوي كل الصفات الحسنى التي لا تكون إلا بيد الواحد القهار، بمعنى: كل ما يفوق القدرة في دائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع لا يكون إلا بيد الواحد المتصرف في الأمر، كيفما يشاء ومتى ما يشاء؛ فالواحدية ليست مذهبا، ولا رؤية، ولا نظرية، ولا فرقة، إنما صفة الواحد وأفعاله المستحيلة والمعجزة.

أما الأحادية فهي صفة للمتفرد بالأمر المطلق، وهو الأحد الذي لا يستأذن في أمره من أحد، ولا أحد غيره، والأحد لا يتكرر ولا يتعدد وليس له شبيه، مما يجعل الأحادية صفة خص الله بها نفسه، ولا يمكن أن يتصف بها غيره، وهي التي إن وُصفَ بها مخلوقٌ نكَّرتُه (جعلته نكرة) كقولك: قال لي أحد: إن الحرية تُنتزع انتزاعًا، فمن يكون يا ترى هذا الأحد؟

إنه لا يكون إلا نكرة.

وعليه:

الأحادية صفة لا تكون إلا لله. وهي الصفة القطعية المطلقة؛ إذ لا شك في أحادية الله، ولا شك في تنوع غيره، وهذه رسالة الأنبياء التي أتموها كما أمروا فسلام على المرسلين.

أما الوجدانية فهي الانعزال عن الغير والبقاء وحيدًا، ما يجعل الوحيد في حاجة لمن يُؤنسُه في غربته أو وحدته، وهذه الوجدانية لا تكون إلا مع المخلوق.

إنها الوجدانية المؤلمة، والوجداني في حاجة لراعٍ أو لعائلٍ أو معينٍ، وفعالها وعملها وسلوكها في دائرة النسبية المتوقعة وغير المتوقعة لا يكون إلا

بجهدٍ يُبذل، أي: جهد يترتب عليه إنتاجٌ، وتعبٌ، وطاقة تُفقد؛ لذلك فالوحدانية تُقرَّر وتُسلَّك من قبل من ارتأى أن ينعزل عن الغير؛ ليبقى وحيداً في الوقت الذي يكون فيه في حاجة للغير إن أراد بقاءً.

إِذْنُ:

الواحدية: صفة اسمية على الخصوص، وصفة فعلها واحدي، وفاعلها الواحد؛ إذ لا مجال للعدد.

أما الأحدىة فهي: صفة اسمية على الاختصاص، وصفة فعلها أحدي، وفاعلها أحد؛ إذ لا مجال للتعدد.

وفي المقابل، فإنَّ الوحدانية صفة اسمية على الخاصية (صفة الممتنع عن المشاركة وهو في حاجة إليها)، وصفة فعلها أحادي، وفاعلها أحد، ومن هنا تتوالد الأعداد (تشتتاً ونزوعاً).

ولأنَّ الواحدية صفة للواحد جلّ جلاله، والأحدىة صفة للأحد عزّ وجلّ فإنَّ المؤمنين بالواحد الأحد موحّدون وليسوا توحيديين؛ لأنَّ الموحّدين هم المؤمنون بالله واحداً أحداً، أي: يؤمنون بدين واحد من ربّ واحد، وهذه ملّة إبراهيم وكلّ الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام.

ولهذا فالأنبياء موحّدون (موحّدون الله وداعون لواحدىته) وليس لوحيدانيته، ولا لتوحيده؛ لأنَّ التوحيد لا يكون إلا للمتفرّق الذي في حاجة للجمع وهذا يتنافى مع واحدية الله (الواحد الأحد الذي لا يتعدّد)؛ أي: إنّ التوحيد لا يكون إلا للمتشتت والمتفرّق والمنقسم، وهنا أقول: إنّ بعض ما تعارفنا عليه اصطلاحاً فيه من المعاني ما يخالف المفهوم.

وعليه: فالتوحيد جهد يبذل من أجل جمع المتفرّق ووضعه في سلّة واحدة، ومع أنّ التوحيد جهدٌ يبذل فإنّه هدف، أي: إنّهُ هدف الرّاعب في توحيد المتفرّق، ولأنّه جهدٌ وهدفٌ فهو من أعمال المخلوق وأغراضه وغاياته ومأمولاته، وليس عمل الله وإن كان في مرضاته.

وهذه لم تكن من مهام الأنبياء عليهم السّلام؛ لأنّ مهمّة الأنبياء توحيد المتفرّقين على الواحد الذي لا يتفرّق.

ولهذا جاءت الملة الواحديّة من واحديّة الله وليس لتوحيده؛ فالله واحد أحدٌ ولا شريك له فلم يكن متعدّدًا ولا متفرّقًا ليقال: (لتوحيده)، مع العلم قال البعض: جاء دين التوحيد ليوحّد الآلهة (الأرباب المتعدّدة) في إله واحد (ربّ واحد) في الوقت الذي قال فيه الله تعالى: {إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ} ²²⁹، أي: يستغربون، ويتعجّبون، ويأبون الانقياد إليه، ومع أنّه لا حُجّة لهم ولا برهان في دحض قوله تعالى: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) فإنّهم لا يرون الآلهة إلّا متعدّدة ووفقًا للرغبة الخاصّة؛ فهم مستكبرون على الحقّ.

ومع أنّ الآلهة من دون الله نتاج الرّغبة الخاصّة، فإنّ البعض قبل بتوحيد مجموعة من الآلهة في إله واحد؛ ولهذا أقول:

لم تأتِ الملة، وتُبعت الرّسُل لتوحيد الآلهة، بل لواحديّة الله، أي: جاءت الملة مبشّرة بواحدية الخالق، وواحدية الدين (واحدية المعبود والعبادة) فلو أسلم الجميع وجوههم لعبادة الله الواحد الأحد لكانوا على الوحدة الإلهية

موحّدين، أي: موحّدين بوحدة المعبود والعبادة، ومن ثمّ فهم ليسوا في حاجة لمن يوحّدهم.

وعليه:

دين الواحدية رسالته: (لا إله إلا الله)، وهذا يعني: إن لم يؤخذ بواحدية الله فلا شيء إلا الفرقة (نتاج تعدّد الآلهة أرباباً من دون الله) قال تعالى: { يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ }²³⁰.

ولهذا فالحنيفية ملةٌ واحديّة، الله واحد، والدين (الإسلام) واحد؛ فالحنيفية نسبة إلى دين إبراهيم عليه الصلّاة والسّلام توحيد لله تعالى ولا شريك؛ ولهذا من ينسب إلى حنيفة إبراهيم عليه الصلّاة والسّلام يسمى حنيفياً وليس حنيفياً كما قال البعض، ومن ثمّ فديانة سيدنا إبراهيم هي: الحنيفية، وليس الحنفية. فالحنفي من له علاقة بالحنيفية وليست له علاقة بالحنيفية؛ ولذلك فالحنيفية تدلُّ على المحسوس ولا تدلُّ على المفهوم المجرد الذي يدرك وعياً، فالواحدية اعتراف بالحقيقة أنّ الخالق واحد، ولا شريك له، بيده الأمر وهو على كلّ شيء قدير، ولا حول ولا قوّة إلاّ به، وهذا ما جاء الرّسول به وعملوا عليه حتى تحقّق على أيديهم؛ فسلام على المرسلين.

ومن ثمّ تعدّ الحرّيّة معطية من معطيات الواحدية؛ إذ الكلّ في حاجة إليها؛ كونها امتداداً منحه الخالق إلى الإنسان حتى النهاية التي تمنح للغير امتداداً حتى الوصول إليها، ولا إكراه، قال تعالى: { وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ

230 يوسف: 39.

فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ²³¹، وقال تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ²³².

وكذلك يعد العدل صفة الواحد وهو القول الحق الذي احتوته
الواحدية؛ من حيث إنه لا ازدواجية في العدل، فالربُّ واحد، والعدل واحد،
والحرية واحدة، ومن هنا جاءت الواحدية أمرًا ونهيًا وتجنُّبًا.

وهكذا المساواة قيمة واحدة خُلق الخلق عليها ولا تفضيل من حيث
الخلق، الكلّ من نفس واحدة: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ
مِّنْ نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ²³³، أي: لا داعي لتباهي البعض على البعض، والجميع
خلقوا من نفسٍ واحدة، الكلّ من تراب، ومن نفس الطينة اللازمة، والكلّ
يختلف عن الكلّ تنوعًا؛ ممّا جعل الكلّ في حاجة للكلّ: {وَلَيْسَ الذَّكَرُ
كَالْأُنثَىٰ²³⁴، ولأنّ الاثنين متساويان خلقًا من نفسٍ واحدة، فهما
متساويان في الاختلاف أيضًا، أي: الدرّجة التي تختلف بها الأنثى عن الذكر
يختلف الذكر بها عن الأنثى؛ ولأنّه اختلاف الواحدية فلا يزول إلى النهاية:
{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ
وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ²³⁵، ومن ثمّ فالاختلاف مساواة (واحدية) فمثل ما للذكر
من رغبات هي بالتمام للأنثى، وكما الذكر يغضب ويفرح الأنثى بالتمام

231 الكهف 29.

232 يونس 99.

233 النساء 1.

234 آل عمران 36.

235 هود: 118، 119.

تغضب وتفرح، ومثلما يتألم تتألم، ومثلما تعطش وتجويع يعطش ويجوع، وهكذا إلى النهاية المساواة واحدية تنوعًا واختلافًا.

إذن: الاختلاف خلقًا مساواة لا انحياز فيها، وهكذا جاءت المساواة من حيث ممارسة الحرّية: الحقوق تمارس، الواجبات تؤدّى، المسؤوليات تُحمّل²³⁶. ولأنّ الواحدية مساواة قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾²³⁷.

سلام على المرسلين إعجازًا:

الإعجاز: فعل تحدّ يتمّ الإظهار عليه، ولا يمكن فعله، أي: يمكن أن يُبيّن لك المعجز وجودًا، ولكنك لا تستطيع فعله؛ ولهذا فالإعجاز فعل الخالق مثله مثل المستحيل، غير أنّ المستحيل خلق الشيء من لا شيء وجودًا، أمّا الإعجاز فهو فعل ظاهر من شيء ظاهر، وهذه من واحدية الخلق، ولا يكون إلّا من الواحد القهار، أي: إنّ الواحدية لا تكون إلّا إعجازًا؛ إذ لا إمكانية للإتيان بمثلها، فهي المعجز تنزيلاً، أمّا غير المعجز فهي تفهم ويتمّ استيعابها؛ ولهذا فالإعجاز واحد، ولا يتعدّد وإن تعدّدت المعجزات، ولا يكون المعجز إلّا على أيدي الأنبياء والرّسل الكرام عليهم الصّلاة والسّلام الذين اصطفاهم الواحد واحدًا من بعد واحد فكانوا مستخلفين في الأرض خير خلق؛ فسلام على المرسلين.

236 عقيل حسين عقيل، الواحدية من الخلق إلى البعث، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2018، ص 7.

.12

237 النحل: 97.

ولهذا فالإعجاز فعل ما لم يستطع الإنسان فعله، أمّا المعجز فهو الذي يكون بين يديك ولا تستطيع فعل شيء مثله، مثل: الرِّسالات الواحديّة بين اليدين، ولا أحد يستطيع أن يأتي بمثلها، قال تعالى: {قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} ²³⁸؛ وهكذا المعجز، مثل: الأرض التي خلقت الأزواج منها، فهي أرضنا عيشًا، ولكننا لا نستطيع خلق أزواج غير الأزواج التي خلقت منها.

وإذا سلّمنا أنّ الانفجار العظيم من تلك الدّرة التي تحدّث عنها الفيزيائيون وهم من حولها مختلفون فلا بدّ أن نسلّم بخلق الدّرة، ونشوء الانفجار منها، وإذا سلّمنا بخلق اللاشيء فلا بدّ أن نسلّم بنشوء الشيء منه إعجازًا، وإذا سلّمنا بخلق الأرض فلا بدّ أن نسلّم بنشوتنا منها إعجازًا، وإلا هل يمكن لنا أن نخلق منها ما هو معجز؟ قال جلّ جلاله: {هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ} ²³⁹، وقال تعالى: {وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا} ²⁴⁰.

ولهذا؛ فإعجاز النّشوء لم يكن خلق البذرة، ولا حتّى زرعها، بل ضرب جذورها في الأرض ونموّها؛ لتكون وجودًا مشاهدًا بداية ونهاية، ونشوء

238 الإسراء: 88.

239 هود: 61.

240 نوح: 17، 18.

النبته إعجازاً يمرّ بمراحل نموّ من بذرة تُبذر إلى بذرة تُجنى، { كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ }²⁴¹.

أما كيف وُجدت البذرة الأولى فلا أحد يعلم، ولا أحد يدّعي إيجادها، بل نبتت من الأرض مثلما نبت الإنسان منها، غير أنّ النبتة جذورها ضاربة في الأرض، أمّا الإنسان فقدماه ثابتتان على ظهرها وفقاً لقانون الجاذبية، قال تعالى: { وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا }²⁴².

فالبذرة لا أحد يظنّ أنّها الخالقة لنفسها كما ظنّ البعض بخلق الكون نفسه من لا شيء، ولكن من يسلم أنّ البذرة لم تُخلق نفسها فعليه بتصحيح تلك المعلومة الخاطئة التي كُتبت عن خلق الكون من غير خالق بمعلومة صائبة تؤكّد: (وراء كلّ مخلوق خالق).

فالنشوء الخلقى إعجازاً نشوء تكاثر، وهو خلق الشيء من الشيء؛ فالخلق البشري الذي نشأ من آدم وزوجه أصبح كمّا بشرياً هائلاً يزيد تعداده على سبعة مليارات من البشر، أمّا تضاعف البذرة النباتية، فلا يحصى بيسر؛ مصداقاً لقوله تعالى: { كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ }²⁴³.

ولأنّ النشوء تكاثر؛ فالإنسان الأوّل (الرّوجان) أصبح بعد نشوئه كمّا هائلاً: { هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا

241 الأنبياء: 104.

242 نوح: 19، 20.

243 البقرة: 261.

مَذْكُورًا} ²⁴⁴. أي: ألا يتذكّر الإنسان أنّه قبل أن يُخلق كان لا شيء، ثمّ خلق؛ فأصبح شيئاً من زوجين، ثمّ تزوج فتكاثر؟ ألا يكفي هذا دليلاً على وجود خالق لكلّ شيء؟

وعليه: فالنشوء إعجازاً مؤسس على خلق الحياة، ثمّ نشوء الأحياء، أي: لو لم تُخلق الحياة ما تُخلق الأحياء؛ ولذلك فكلّ من تُكتب له الحياة يُخلق على الهيئة التي تميّزه جنسًا ونوعًا، ومن ثمّ ينشأ كلّ مخلوقٍ وفقًا لسلالته التي لا يمكنه الخروج عنها؛ فأدم وزوجه كونهما المخلوقين من تراب فسلالتهما من طين، أمّا بنوهما فسلالتهما من نطفة: {ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ} ²⁴⁵؛ ولذلك فمن أين جاءت الصّلة بالقروء، التي قال عنها بعض الفيزيائيين؛ أي: من أين جاءت وأصل النشوء إعجازاً (آدم وزوجه) ثمّ أبناؤهما (بشرًا سويًّا)؛ فلا إمكانية لعلاقة سلالية بين البشر والقروء.

فالنشوء إعجازاً لا يكون إلّا من شيءٍ، فلو لم تكن الأرض ما كان نشوؤنا منها، ولو لم يكن اللاشيء ما كانت الأرض شيئاً منه، ولو لم يكن الانفتاق العظيم ما كان اللاشيء شيئاً، قال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ} ²⁴⁶. وحتى تلك الدّرة لو سلّمنا بوجودها لو لم تكن ما كان ذلك الانفجار الذي يدّعونه: (الانفجار العظيم)، ولو لم يكن الخالق ما خلق

244 الإنسان: 1.

245 السجدة: 8.

246 الأنبياء: 30.

شيء: { وَ لِلّٰهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللّٰهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }²⁴⁷؛ ولهذا أرسل الله الرُّسُلَ والرِّسَالَاتِ تَنْزِيلَ عَلَيْهِمْ؛ لِيُبَيِّنُوا مَنْ هُوَ الْخَالِقُ؟ وما هُوَ الْمُسْتَحِيلُ؟ وما هُوَ الْمَعْجِزُ؟ ومن هُوَ جَامِعُ النَّاسِ؟ ومن هُمُ الْمَفْرَقُونَ؟ فسلام على المرسلين.

ومع أنّ الله خلق كلّ شيء وهو الخلاق لما يشاء متى ما يشاء، وكيفما يشاء، وأينما يشاء، فإنّ البشر لا يعلمون كلّ ما خُلق؛ فهناك ما يعلمونه خبراً، وهناك ما يأخذونه أمرًا ونهيًا، وهناك ما يدركونه عقلاً، وهناك ما يرونه مشاهدةً، وهناك غير ذلك مما لا نعلم: { وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا }²⁴⁸؛ ولهذا فالبشر كما يسلّمون يقينًا بما يعلمونه يسلّمون يقينًا بما يجهلون؛ فعلى سبيل المثال: المؤمنون يعلمون بالسّاعة، ولكنّهم يجهلون ساعتها، ويعلمون بالنّعيم ويجهلون نعمه، ويعلمون أنّ السّماوات والأرض كانتا رتقًا ويجهلون كيفية ففتحهما.

ومع أنّهم لم يكونوا شهودًا لحدوث الانفجار العظيم الذي تحدث الفيزيائيون عنه ونحن عنه تحدثنا في مؤلّفنا: (من معجزات الكون) انفتاقًا عظيمًا فإنّهم واثقون من حدوثه: { إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ }²⁴⁹، أي: إنّ الحقّ في ذاته ولا شكّ، قال تعالى: { كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ }²⁵⁰، إنّ العلم البين الذي أُبلغ عنه ولم يتحقّق بعد، وهو سيتحقّق لا محالة، { ثُمَّ

247 المائدة: 17.

248 الاسراء: 85.

249 الواقعة: 95.

250 التكاثر: 5.

لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ} ²⁵¹؛ إذ لا شك أنّ المستقبل آتٍ وسترون بأمهات عيونكم كلّ ما أعلمتم به قبل أن تروه؛ وهكذا ستعلمون الحقائق، سواءً أكانت معلومة أم مجهولة.

ولأنّ الخالق خلق الشّيء واللاشيء؛ فخلق السّماوات والأرض أشياء، وخلق ما بينها اللاشيء: (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا)؛ فما بينهما: هو ذلك الفراغ المملوء أشياء متناهية في الصّغر، وبتناهي صغرها توصف لاشيء.

ومع أنّ الخلق والنّشوء إعجازاً من مشيئة الخالق فإنّ الخلق سابق على النّشوء ولا شيء قبله، أمّا المعجز نشوءاً فلا يكون إلّا من شيء مخلوق، فينشأ منه خلقٌ آخر، مثل: خلق الإنسان من الأرض، وكأنّه لم يكن منها، وهكذا حال الأزواج المخلوقة إنشاءً؛ مصداقاً لقوله تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ} ²⁵².

ومع أنّ المعجز نشوءاً مترتب وجوداً على ما خلق، فإنّه لا يكون إلّا وفقاً للمشيئة التي دائماً سابقة على الشيء، أي: لا شيء ينشأ ويُخلق إعجازاً إلّا من مشيئة الخالق.

ومشيئة المشيء إرادة خلقية، خلقت تلك الذّرة، وفجّرتها خلقاً آخر: {وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} ²⁵³.

251 التكاثر: 7.

252 يس: 36.

253 البقرة: 117.

ولذلك؛ فَخَلَقَ الشَّيْءَ مِنَ الشَّيْءِ وَجَعَلَهُ عَلَى الْهَيْئَةِ وَالصِّفَةِ يَعد
نشوءًا من مشيئة الخالق.

والنشوء تكوين بنائي يُخَلَقُ عَلَى الْهَيْئَةِ وَالصُّورَةِ بِغَايَةِ وَظِيفِيَّةٍ؛
فالأرض التي خُلِقَتْ بِنَاءٍ مَكْوَرًا، هُيِّئَتْ لوظيفة الإنبات والتكاثر والنشوء
والارتقاء: {أَوَّمَّ يَرَوَا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ} ²⁵⁴.

فالإنبات في الأرض إضافة خلائق، ونشوء حياة، ولفت انتباه إلى
ما يشبع الحاجات المتنوعة والمتطورة بغاية بقاء الحياة إلى النهاية دون حاجة.
فالنشوء إعجازًا لا يكون إلا من شيء، أمَّا الخلق فليس بالضرورة،
أي: إنَّ الخلق الأوَّل لم يسبقه خلقٌ (خلق من لا وجود)، أمَّا الخلق المترتب
عليه فهو النشوء المعجز (نشوء الشيء من الشيء)؛ ولذلك فالنشوء يتعدّد
من الخلق الواحد أجناسًا وأنواعًا؛ فذلك الكون المرتق خلقًا أصبح أكوانًا
منشأة انفتاحًا، وهكذا الأرض التي خُلِقَتْ خلقًا مرتقًا؛ فقد كان النشوء منها
متنوعًا ومتعدّدًا (زوجين) من كلِّ شيء.

وبما أنَّ المخلوق قبل أن يُخَلَقَ لم يكن شيئًا (لا وجودًا) إذن: فمن
الذي جعله شيئًا؟ وهل يمكن الحديث عن شيء لو لم يكن موجودًا؟ وبما
أنَّه موجود، إذن؛ فمن الذي جعله شيئًا؟

أي: لو لم يكن الشيء موجودًا فهل يمكن أن يقال عنه: قد خُلِقَ
نفسه من لا شيء؟ ولماذا لا يرتقي التفكير العقلي إلى معرفة من خلقه شيئًا

(وجودًا)؟، ولماذا خلقه شيئًا؟ بمعنى: لماذا لا يرتقي التفكير من المخلوق
المشاهد إلى معرفة الخالق الذي لا يشاهد؟

ولذلك؛ فالعقل المتأمل في الوجود الخلقى يدرك أنّ وراء كلّ شيء
مشيئًا له؛ فلو لم يشأه ما كان شيئًا، وبما أنّه أصبح شيئًا فهو لم يكن إلاّ
وفق مشيئة، وهذه تستوجب: مقدرة خلقية، وخالقًا يهيئ المخلوق للخلق
قبل أن يخلقه، ومن ثمّ فلا شيء إلاّ من مشيء: {إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي
شَيْئًا} 255.

ولأنّ خلق الشيء من الشيء يعدّ نشوءًا معجزًا، إذن: فلا نشوء إلاّ
والحياة تملؤه، فالأرض لو لم تكن على الحياة ما كان تراجمًا صالحًا لخلق
الإنسان، وإنباته مثل النبات نباتًا، إنّهُ النَّبَاتُ الَّذِي مِنْ بَعْدِهِ لَا تَخْلُقُ
الكائنات من الكائنات إلاّ تزاوجًا، أمّا نشوء الأكوان فلم يكن إلاّ انفتاقًا.

وعليه:

فالمعجز نشوءًا الذي بيّنته الرّسالات الواحديّة وجاء به الرّسل الكرام
عليهم السّلام هو خَلْقٌ مِنْ خَلْقٍ، وإنبات من نبتٍ، ومُعْجَزٌ قَابِلٌ لِلنَّمُو؛
فالخلق كونه غير مسبوق هو الفعل المستحيل الذي لا يتحقّق إلاّ أمرًا؛
ولذلك فالخلق فعل يسبق المخلوق تحقّقًا كما هو خلق الكون شيئًا من لا
شيء يذكر، أمّا النّشوء فهو الخلق ممّا خُلِقَ إعجازًا، كما هو خلق الأزواج

من الأرض، ومن الأنفس، ومما لا نعلم؛ مصداقًا لقوله تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ} 256.

أما النمو في ذاته فلا يكون نموًّا إلا في ذات غيره نشوءًا؛ إذ لا وجود للنمو من غير شيء ينمو، فهو عملية ازدياد، كما هو ازدياد حجم الكون تمددًا وسرعة، وكما هو ازدياد حجم الخلايا نموًّا وضخامة، وكما هو نمو (نشوء) النبتة من بذرة إلى شجرة.

ولذا؛ فكلّ شيء مؤسس على الإعجاز ينمو إلى النهاية (نهاية المكان أو الزمان) الخاصين بمن ينمو إعجازًا (نضجًا وعمرًا)، وهذا الأمر ينبغي أن يُلفتَ نظر الإنسان إلى نفسه؛ كي ينمو قولًا وعملاً وإرادةً وسلوكًا، أي: يجب أن ينمو تذكّرًا حتى يبلغ بداية الخلق وسرّ وجوده مستحيلًا وإعجازًا بهدف استجماع القوة من التاريخ المملوء بالمستحيلات والمعجزات، والتجارب، والقصص، والمواعظ والعبر التي تمكّنه عن تدبّر من إنشاء شيء جديد يفوق ذلك الماضي ارتقاءً، ومع ذلك فلا يقف عنده غاية؛ فالغاية بالنسبة إلى من تدبّر أمره في حاضره ارتقاءً، هي: بلوغ ما هو أعظم منه ارتقاءً؛ ولهذا فعليه أن يفكّر فيما هو أعظم، وعليه أن يعرف أنّ بلوغه ممكن فالإنسان الذي حُلق في أحسن تقويم، مهما عمل من الأعمال الحسان فهو يعلم أنّه بالإمكان بلوغ ما هو أحسن منها؛ ولهذا فلا ينبغي أن يتوقّف نموًّا، بل عليه أن يعمل والأمل لا يفارقه، وعليه أن يعرف أنّ العمل ارتقاءً وحده يطوي الهوة بين الأمل وصاحبه والحاجة المتطورة ومشبعاتها المتنوّعة.

ولأنَّ الخلقَ هو فعل المستحيل يتحقّق إِعْجَازًا؛ فهو غير المتوقّف نموًّا وازديادًا، بل حاله من حال الكون المتمدّد تسارعًا؛ ولذلك فالخلق بلا انقطاع يحتوي نشوءًا معجزًا، والنشوء بلا انقطاع يحتوي نموًّا، والنمو بلا انقطاع يحتوي ارتقاءً يحقّق الرّفعة في دائرة الممكن.

ولأنّ فعل المستحيل بيد الخالق، فالخالق لو لم يفعل مستحيلًا ما نشأ الخلق وجودًا مُعْجَزًا، وما أمكن للإنسان ارتقاءً. إنّها حلقات متداخلة (خلق، نشوء، ارتقاء)، ولا يمكن أن تستقل حلقة عن أخرى؛ فحيثما كان الخلق كان النشوء إِعْجَازًا، وحيثما كانا (الخلق والنشوء إِعْجَازًا) كان الارتقاء، أي، لا ارتقاء بلا نشوء، ولا نشوء بلا خلق، ولا خلق بلا خالق، ومن هنا لا نميّز بين ما هو مستحيل إلّا بفعلٍ مطلق، وما هو نشوء إلّا بفعلٍ معجز، وما هو ممكن إلّا بعمل واستطاعة.

فالنشوء خلق من خلق، وإنبات من نبت، وإِعْجَاز من معجز؛ فالأرض عندما كانت مرتقة في السّماء كانت بيئة صالحة للإنبات بلا تكاثر، وهذه هي النشأة المعجزة (الأزواج) كما هو حال نشأة آدم وزوجه من تراب: {وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا} ²⁵⁷؛ فإنبات آدم وزوجه من الأرض كان ظهورًا مشاهدًا مثل النبتة بالتّمام، غير أنّ النبتة ذات جذور ضاربة في الأرض، أمّا آدم وزوجه فلا ضرب لهما في الأرض إلّا سلالة؛ ولهذا فخطاهما تمشي عليها استقامة قامة.

وهذا الأمر ينبغي أن يلفت نظر الإنسان إلى أهميّة الأرض؛ كونها الأم الأولى والوطن الأوّل الذي فيه بنو آدم إخوة مختلفون، ولم لا يظّلون إخوة مختلفين؟ فالاختلاف مشيئة الخالق في خلقه وليس عيب أخلاق، بل العيب الذي ينبغي أن يُجنّب هو الخلاف الذي بأسبابه تقاتل ابنا آدم؛ حيث سيطرت الشهوة والرغبة الشخصية على أحدهما؛ فأقصى أخاه، ثمّ قتله؛ ولأنّ الانفلات كان مع بداية الخلق فبعث الله الرُّسل تترى؛ مصداقاً لقوله تعالى: {ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلًّا مَّا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ} ²⁵⁸، فكانوا رُسُلًا مكرّمين بالإيمان والعزيمة متحدّين الصّعب حتى قهروها؛ فسلام على المرسلين.

ولأنّ النّشوء منبت الحياة نموًّا معجزًا فهو لا يتوقّف خلّقًا؛ ولأنّ ذلك فلم لا يكون كذلك لا يتوقّف ولا يتخلّف على أيدي بني آدم تعليمًا، وصحّة، وزراعة، وصناعة، وبناء وإعمارًا، وإصلاحًا، وغزوًا للفضاء حتى بلوغ الحلّ الممكن من بلوغ الجنّة نعيمًا وفردوسًا.

ولأنّ العلاقة بين (الخلق، والنّشوء، والارتقاء) علاقة ارتباطية فهي مثل علاقة (الأرض والبذرة والسّماء)؛ فالبذرة لو لم تُبذر أو تُغرس في الأرض ما نبتت ونمت على ظهرها ارتقاءً في اتجاه السّماء، وكأنّها تأمل بلوغها غاية. ولأنّ العلاقة بين الخلق والنّشوء والارتقاء علاقة بين مستحيل ومعجز وممكن؛ فهي علاقة اعتمادية بين السّابق (الخلق)، والتّابع (الإعجاز نشوء)،

واللاحق (الارتقاء)؛ ولذلك وجبت المعرفة على اللاحق لكلّ تابع لما قبله سابق، ممّا يجعل الماضي البعيد هو المستقبل بعينه، أي: لو كان أبونا آدم على قيد الحياة وسألناه: ما المستقبل المأمول؟ لقال: تلك الجنة (ذلك الماضي الذي نشأ فيه ارتقاء قمّة ورفعة).

ومن هنا؛ فإنّ التفكير في المستقبل يربط المفكّر وما يفكّر فيه بالماضي المأمول، ومع أنّ الزمن في أذهاننا مقسّم بين ماضٍ وحاضرٍ ومستقبلٍ، فإنّ التفكير تدبّراً في الوقت الآن لا يمكن أن يفصل مستقبل آدم المأمول عمّا نشأ فيه يقيناً؛ ولذلك فالزمن الحاضر كما يربطنا بما جرى ارتقاءً يربطنا بما نأمل الارتقاء إليه، سواءً أكان المأمول قد حدث في الماضي أم إنّه سيعود إلينا ثانيةً.

ومع أنّ خلق آدم وزوجه كان خلق قمّة في أحسن تقويم، فإنّ آدم وزوجه انحدرتا عن تلك القمّة باختيارهما، ومع ذلك عندما عرفا أنّ العلة قد ألمت بهما وكانت من وراء انحدرهما هبوطاً دوتياً (ندما واستغفرا لذنبهما) فتاب الله عليهما، ومن هنا نشأ لديهما أمل العودة إلى تلك القمّة الماضية، وهي بالنسبة إليهما هي الأمل المفقود، ولكنّ هذا الأمل المفقود لا يمكن أن يبلغ إلا بالعمل ارتقاءً، فسلام على المرسلين الذين بلغوه جنّة.

وهنا يتداخل الزمن؛ فما يأمله آدم وبنوه المصلحون هو: تلك الجنة التي خلّق فيها آدم وزوجه، ولكن كيف تكون تلك الجنة هي الماضي، وتكون هي المأمول ذاته في المستقبل؟

أقول:

الجنة خلقت وجودًا في الكون المرتق؛ إذ لا وجود للأيام، بل هناك اليوم الواحد (اليوم الآخر) الذي لا وجود للظلمة فيه، ولا مجال للشروق والغروب؛ ولأنه كذلك فلا وجود للماضي والمستقبل، بل الوجود للحاضر ولا شيء غيره.

فالمخلوق عندما ينتهي من الوجود الحي ليس له من الأيام إلا الزمن الحاضر، وكذلك عندما يُبعث حيًا لن يجد شيئًا مسجلًا إلا في الزمن الحاضر الذي وحده سيكون الشاهد الأول على الأعمال ثقلها وخفيفها.

ولذلك؛ فكلّ حياة الإنسان هي زمنٌ حاضرٌ، وكلّ ما يعمله الإنسان فيها ويتمّ استدعاؤه من الذاكرة لا يكون إلا حاضرًا في الزمن الحاضر، أي: كلّ شيء يُفعل أو يُعمل لا بدّ أن تسجّله الحياة في صفحاتها حاضرًا.

فالزمن دائرة، نقطة بدايتها تتمثل في كلّ نقطة من نقاطها المتصلة التي عندما يوضع الأصبع على أيّ منها تعد هي مركز منتصفها، وفي الوقت ذاته تعد نقطة نهايتها؛ وهنا يعد الزمن كلّ حاضرًا، أمّا الأعمال في الزمن فهي الشاهدة على من يقوم بها؛ ولهذا يموت العاملون وتبقى أعمالهم حاضرة ولا وجود لماض يقبرها، بل الماضي يحفظها حاضرًا.

ومن ثمّ؛ فالتناس يحدّدون أهدافهم، ثمّ يعملون على إنجازها أو تحقيقها وبلوغ الغاية التي من ورائها، مع العلم أنّ الزمن بين تحديدها وبلوغها يحتاج إلى أعوام؛ وهذا يعني أنّ زمن تحديد الأهداف لم يكن زمن تحقيقها

ولا تحقيق الغاية التي من ورائها، مع أنّ الزّمن الذي حُدّدت فيه قد أصبح ماضيًا، وهو في الوقت ذاته بالنّسبة لإنجازها أو بلوغها لا يعدّ إلاّ مستقبلًا.

ومن ثمّ؛ فتلك الجنّة بمقاييس زماننا هي ماضٍ، ولكن إن سلّمنا بذلك ألاّ يعني أنّ الماضي سيظلّ ماضيًا ولن يعود؟ وإذا كان كذلك فلا أمل فيه؛ ممّا يجعل التسليم به وكأنّنا نقول: لا وجود للجنّة في المستقبل.

ولهذا فمن يعمل، ثمّ يزدد نموًّا وارتقاءً؛ فلن يبلغ جنّة غير تلك الجنّة التي هي حاضر آدم وزوجه، وهنا، أقول:

إنّ الماضي المأمول هو المستقبل بعينه؛ فمن شاء بلوغه فليعمل على مستقبل يربطه بالماضي ارتقاءً، ولكن هذا لا يعني الاجترار، ولا يعني الالتفات إلى الوراء، بل يعني: التقدّم تجاه المأمول نشوءًا وإبداعًا منتجًا لكلّ جديد مفيد يرتقي بالنّاس إلى تلك الجنّة، وحيث ذلك الماضي الذي حُلقت فيه الأزواج التي كان آدم وزوجه على رأسها في أحسن تقويم (قمة).

فالزّمن متصل بلا فواصل، وما يسمى بالماضي والحاضر والمستقبل لا يزيد على كونه فواصل من عندنا، وليس من عند الزّمن؛ فالزّمن هو الزّمن حاضرًا، ولكن الأحداث التي تقع فيه تفصل بينها الأيام التي بها تُعدّ السّنون، وفيها تُصنّف الأعمال بين من ثقلت موازينه من أجل العودة إلى تلك الجنّة أملاً وارتقاءً، ومن خفّت موازينه انحدارًا؛ إذ لا أمل له في ماضٍ لم يأمله مستقبلًا.

ولذا؛ فَحَلَقَ الكون مُرتقًا، ونشوء آدم وزوجه فيه ارتقاءً، ثمّ انحدارهما منه والأرض هبوطًا لا يلغي من دائرة الممكن أمل العودة إلى ذلك الكون

متى ما تمّ رتقه كما كان أوّل مرّة، قال تعالى: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا
كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ} 259.

يفهم من هذه الآية أنّ الخلق والنشوء قد أوجدا كوناً أوّلاً (كَيْفَ
بَدَأَ الْخَلْقَ)، ثمّ أصبح الارتقاء فرصة، ولأنّه فرصة فلا ينبغي أن تضيع من
أيدي من سُنحت لهم؛ ولهذا فأوّل المغتربين لها استغفاراً وتوبة كان آدم عليه
السّلام؛ فتاب الله عليه بأمل العودة إلى حيثما كان عليه قمّة؛ فسلام على
آدم.

وبما أنّ الارتقاء لا يكون إلّا حيثما توجد القمّة المأمولة؛ إذن: فلا
ارتقاء إلّا إلى حيثما هي كائنة، ولأنّها قمّة كائنة وجوداً فهي وجود سابق
على من يرغبها أملاً لاحقاً، ومن هنا فالزّمن ليس هو ما نأمله، بل الذي
نأمله ما يحتويه الزّمن وجوداً؛ ولذلك فالزّمن هو الزّمن؛ فحيثما كان الماضي
يكون المستقبل حاضراً.

ومن ثمّ؛ فالأهداف التي تصاغ في خطة بحثية في الزّمن الحاضر هي
الأهداف المأمول إنجازها في الزّمن المستقبل الذي يوم أن تنجز فيه يكون
هو الشّاهد (الحاضر) على إنجازها، كما كان هو الشّاهد حضوراً يوم
تحديدها وصياغتها.

فالكون الذي كانت بداية الخلق منه حاضرة هو الكون الذي
ستكون نهاية الخلق إليه حاضرة، أي: لا وجود لشيء إلّا في حاضر؛ وبما
أنّ خلق الكون مُرتقّ كان البداية، إذن: فالنّهاية لا تكون إلّا برتقه ثانية،

(ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ) النشأة التي لا يمكن لنا معرفة كيفيتها؛ لأنّ أمر معرفة الكيفية الآخرة مستحيل؛ ولأنّه أمر مستحيل فهو خارج دائرة الارتقاء إليه ممكناً.

ولأنّه خارج دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع؛ فلا إمكانية لتصوره، ولا إمكانية لمعرفة كيفيته؛ ولذلك فسيظل المستحيل مستحيلاً وإن علمناه مستحيلاً، قال عزّ وجلّ: {وَنُنشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ} ²⁶⁰.

أي: إنّ نشأة أخرى قد حُدِّدت وستأتي لا محالة، وسينشأ الخلق عليها بعد أن ينتهي الكون تمدّداً وبأية علّة، والاستحالة هنا هي التي لا تكون إلّا ممكناً بين يدي الله؛ إذ لا استحالة أمامه، وهذا ما أعلمنا به الرُّسُل عليهم السّلام وفقاً لما أعلمهم به الله؛ فسلام على المرسلين بما جاءوا به مرسلين، وسلام على المرسلين بما فعلوا وعملوا واحديين.

ومن ثمّ؛ فبنو آدم يعرفون أنّ أساس النّشوء الآدمي هو من الأرض، وكذلك هم يعرفون أنّ الأموات يتحلّلون وينتهون فيها أثراً بالياً، ويدركون أنّ للحياة بداية ونهاية، ثمّ أنّ للموت نهاية (موت الموت)؛ ولهذا فالمؤمنون يعرفون أنّ من بعد النّهاية بداية أخرى على كيفية أخرى، ولا تكون إلّا مستحيلاً (وَنُنشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ) أي: قد عرفنا من رسالات الرُّسُل عليهم السّلام أنّ السّاعة آتية ولا شكّ في ذلك، ولكننا لا نعلم ساعتها؛ مصداقاً لقوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّئُهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا

بَعْتَهُ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ { 261 .

ولذلك؛ فلا نشوء حَلْقِيًّا مُعْجَزًا إِلَّا وفعل الخلق يسبقه، ولا ارتقاء حَلْقِيًّا إِلَّا ونمو الخلق منشؤه، ومن هنا فلا يولد الشيء المعجز إِلَّا من الشيء المعجز، وفي المقابل الخالق يخلق الشيء من لا شيء استحالة، كما هو استحالة خلق الكون وفتقه أكوانًا.

ولأنَّ الخلق هو فعل الوجود الأوَّل؛ فالنشوء من بعده وجود آخر مُعْجَز، ومع أنَّه وجود آخر، فإنَّه لولا الوجود الأوَّل ما كان شيئًا آخر؛ ولذا وراء كلِّ نشوء مُعْجَز نشوء من ورائه نشوء واستحالة: { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ }²⁶². أي: لو أجرينا مقارنة بين النشوء الأوَّل (الطين) المعجز ثمَّ (النطفة) المعجزة، والنشوء الآخر جنينًا متكاملًا معجزًا فلا نشاهد علاقة، ولكن مشيئة الخالق شاءت أن تكون بداية النشوء مرحلة قابلة للنمو والارتقاء من حالة إلى حالة أخرى تختلف عنها مشاهدة.

261 الأعراف: 187.

262 المؤمنون: 12 - 14.

ولذلك؛ فلولا الطين ما نشأت الأزواج، ولولا الأزواج ما نشأت
النطفة، ولولا النطفة ما كان المولود شيئاً آخر، وهنا يصبح الخلق بين أيدي
الناس عجزاً واستحالةً.

ومع أنّ بداية النشوء لم تكن على الكثرة، فإنّ نهايته لا تكون إلا
عليها؛ فالبذرة الواحدة نشوء تنتج أكثر من سُنبلَة، وفي دائرة الممكن ارتقاء
السُنبلَة تمتلئ بذورا متعدّدة، وهذا يجعل عدد البذور المنتجة من البذرة
الواحدة مئات؛ ولذلك فالتكاثر يتضاعف نموّاً وكثرة؛ ليُسهم في إشباع
حاجات الإنسان المتطوّرة مع تطوّره عدداً ومعرفةً.

ومن ثمّ، ينبغي أن يعمل بنو آدم كلّ ما في وسعهم من أجل تحسين
حالات التّمو وتحسين أحوالهم إلى ما يجب بلوغه نشوءاً وارتقاءً؛ فالإنسان
الذي يعلم أنّه في دائرة الممكن قادر على أداء العمل؛ فلا ييأس من بلوغ
غير المتوقّع نتيجة، ولأنّ دائرة الممكن لا تقتصر على المتوقّع فقط؛ فلم لا
ينتبه الجميع ويعملون على تحقيق غير المتوقّع تعلّماً، وإنتاجاً، وعدلاً،
ورفاهيّةً، وغزواً للفضاء حتى اكتشاف الأكوان طباقاً واكتشاف ما يضاف
إلى المعارف الممكنة من إحداث التُّقنة.

ولأنّ النشوء الخلقى يؤسّس إلى نشوء مُعجز من بعده نشوء مُعجز،
كما هو حال نشوء الأرض التي من بعدها نشوء الأزواج، ثمّ نشوء التزاوج
من الأزواج كثرة؛ فينبغي أن تكون هذه معطية تلفت العقل الإنساني إليها؛
لينشئ من الأشياء أشياء أخرى تسهم في إشباع حاجاته المتطوّرة؛ إذ كلّما
التفت الإنسان إلى الأرض معجزة اكتشف شيئاً جديداً يمده بالمزيد المعرفي؛

فالأرض خامات وثروات ثمينة تملأ ظاهرها كما تملأ باطنها؛ فمن بلغها نشوءًا وارتقاءً معرفيًا تمكّن من تشييد المزيد نشوءًا حتى معرفة المستحيل وبلوغه مستحيلًا، وفي المقابل من تُلهه نفسه شهوة فلن يجد نفسه إلا على حالة من الانحدار والدونية التي لا تزيده إلا تقليل شأن.

فالإنسان الذي خُلق على قمّة النشوء ارتقاءً لو لم ينحدر بداية لكان إلى يومه هذا على قمّة الزمن الحاضر في حُسن خلقه، وحُسن خلقه، ولكن الغفلة قد أخذته فعصى ربّه؛ فانحدر إلى ما لا ينبغي، ثمّ حاول التّهوض، ولكنّه ما زال يحاول وهو بين أمل ويأس، أمل الارتقاء إلى ذلك الماضي، ويأس بلوغه بعلل الشهوة التي لا ترى الأنا إلا مركزا على حساب الغير²⁶³.

وعليه:

فالنشوء لا يمكن أن يكون صفرًا، بل الصفر هو نقطة ما قبل وجوده أو نموه؛ فالنمو لا يبدأ إلا من نقطة الصفر، ولا ينتهي قمّة إلا إليها؛ حيث التوقف عن النمو ارتقاء، أي: عندما يبلغ النمو نقطة لا ينمو من بعدها شيء، تعدّ هذه النقطة صفرية؛ إذ لا شيء من بعدها إلا الاستحالة وهي النقطة التي لا شيء من بعدها إلا الانحدار إلى نقطة صفر البداية²⁶⁴، قال تعالى: {يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ

263 عقيل حسين عقيل، مفاهيم الصلّة والتسليم على الأنبياء، المصرية للنشر، القاهرة: 2019م،

ص 9 – 156.

264 عقيل حسين عقيل، الواحدة من الخلق إلى البعث، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2018، ص 17.

.31

وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ
يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً
لِّلْعَالَمِينَ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ فَإِن تَوَلَّوْا
فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِن أُدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ
مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ وَإِن أُدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ قَالَ
رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ }²⁶⁵؛ فسلام على
المرسلين كُلِّهِمْ بما بعثوا به لأقوامهم وشعوبهم وقراهم ومدنهم وللكافة، وسلام
على المرسلين على ما بشروا به، ودعوا إليه، وحرّضوا عليه، وأمروا به، ونهوا
عنه: {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }²⁶⁶.

265 الأنبياء: 104 . 112.

266 الصافات: 180 . 182.

صدر للمؤلف

صدر للمؤلف الدكتور عقيل حسين: 92 بحثا نشرت داخل ليبيا،

وخارجها.

صدر له (162) مؤلفا منها: خمس موسوعات.

أشرف، وناقش 83 رسالة ماجستير، ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثية:

1 . الخدمة الاجتماعيّة، والتنمية البشرية.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلفات باللغة الإنجليزية، والتركية.

المؤلفات

1. مستوى التحصيل العلمي بمرحلة التعليم المتوسط، طرابلس ليبيا، 1989م.
2. الأصول الفلسفية لتنظيم المجتمع، منشورات جامعة طرابلس، ليبيا، 1992م.
3. فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات الجأ، 1995م.
4. منهج تحليل المعلومات وتحليل المضمون، منشورات الجأ، مالطا، 1996م.
5. سيادة البشر دراسة في تطور الفكر الاجتماعي، منشورات الجأ، مالطا، 1997م.
6. المفاهيم العلمية دراسة في فلسفة التحليل، المؤسسة العربية للنشر وإبداع، الدار البيضاء، 1999م.
7. البستان الحلم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1999م.
8. التصنيف القيمي للعولمة، منشورات الجأ، مالطا، 2001م.
9. الديمقراطية في عصر العولمة (كسر القيد بالقيد)، دار الجأ، مالطا، 2001م.
10. نشوة ذاكرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004م.

- 11 . خماسي تحليل القيم، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.
- 12 . منطق الحوار بين الأنا والآخر، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.
- 13 . خدمة الفرد قيم وحداثه، دار الحكمة، 2006م.
- 14 . خدمة الجماعة رؤية قيمية معاصرة، دار الحكمة، 2006م.
- 15 . البرمجية القيمية لمهنة الخدمة الاجتماعيّة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.
- 16 . البرمجية القيمية في طريقة تنظيم المجتمع، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.
- 17 . البرمجية القيمية في طريقة خدمة الجماعة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.
- 18 . الموسوعة القيمية لبرمجية الخدمة الاجتماعيّة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.
- 19 . البرمجية القيمية في خدمة الفرد، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.
- 20 . مفاهيم في استراتيجيات المعرفة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.
- 21 . المقدمة في أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، بيروت - دمشق، 2009م.

- 22 . موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2009م.
- 23 . أستم من آل البيت، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.
- 24 . مختصر موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.
- 25 . خطوات البحث العلمي (من تحديد المشكلة إلى تفسير النتيجة)، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.
- 26 . قواعد المنهج وطرق البحث العلمي، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.
- 27 . أسماء حُسنى غير الأسماء الحسنى، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.
- 28 . آدم من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.
- 29 . نوح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.
- 30 . إدريس وهود وصالح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.

- 31 - إبراهيم وإسحاق وإسماعيل ولوط من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.
- 32 - شعيب من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.
- 33 - يعقوب ويوسف من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.
- 34 - داود وسليمان من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.
- 35 - يونس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.
- 36 - أيوب واليسع وذو الكفل وإلياس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.
- 37 - موسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.
- 38 - عيسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.
- 39 - محمد من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.

- 40 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، آدم ونوح، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.
- 41 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، ادريس ويعقوب ويوسف، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.
- 42 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، أيوب وذو الكفل واليسع والياس، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.
- 43 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، موسى وهارون وعيسى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.
- 44 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، يونس وزكريا ويحيى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.
- 45 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولوط، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.
- 46 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، هود وصالح وشعيب، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.
- 47 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، داوود وسليمان، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.
- 48 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، النبي محمد، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

- 49 . موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.
- 50 . موسوعة الأنبياء من وحي القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.
- 51 . التطرف من التهيؤ إلى الحلّ، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2011م.
- 52 . ألسنا أمة وسطا، ابن كثير، دمشق - بيروت، 2011م.
- 53 . المنهج وطريقة تحليل المضمون، ابن كثير، دمشق - بيروت، 2011م.
- 54 . الإرهاب (بين قادحيه ومادحيه) المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2011م.
- 55 . الخوف وآفاق المستقبل، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2011م.
- 56 . سنن التدافع، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت: 2011م.
- 57 . خريف السلطان (الرحيل المتوقع وغير المتوقع) شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.
- 58 . من قيم القرآن الكريم (قيم إقدامية) شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

- 59 . من قيم القرآن الكريم (قيم تدبّرية) شركة الملتقى للطباعة
وانشر، بيروت، 2011م.
- 60 . من قيم القرآن الكريم (قيم وثوقية) شركة الملتقى للطباعة
وانشر، بيروت، 2011م.
- 61 . من قيم القرآن الكريم (قيم تأييدية) شركة الملتقى للطباعة
وانشر، بيروت، 2011م.
- 62 . من قيم القرآن الكريم (قيم مناصرة) شركة الملتقى للطباعة
وانشر، بيروت، 2011م.
- 63 . من قيم القرآن الكريم (قيم استبصارية) شركة الملتقى للطباعة
وانشر، بيروت، 2011م.
- 64 . من قيم القرآن الكريم (قيم تحفيزية) شركة الملتقى للطباعة
وانشر، بيروت، 2011م.
- 65 . من قيم القرآن الكريم (قيم وعظية) شركة الملتقى للطباعة
وانشر، بيروت، 2011م.
- 66 . من قيم القرآن الكريم (قيم شواهد) شركة الملتقى للطباعة
وانشر، بيروت، 2011م.
- 67 . من قيم القرآن (قيم مرجعية) شركة الملتقى للطباعة وانشر،
بيروت، 2011م.

- 68 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسليمية) شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.
- 69 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسامح)، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.
- 70 . من قيم القرآن الكريم (قيم تيقنيّة)، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.
- 71 . الرفض استشعار حرية، دار الملتقى، بيروت، 2011م.
- 72 . تفويض القيم (من التكميم إلى تفجّر الثورات)، شركة الملتقى، بيروت، 2011م.
- 73 . ربيع النَّاس (من الإصلاح إلى الحلّ) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011م.
- 74 . موسوعة القيم من القرآن الكريم، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2012م.
- 75 . أسرار وحقائق من زمن القذافي، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ودار المختار طرابلس، 2013م.
- 76 . وماذا بعد القذافي؟ المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.
- 77 . ثورات الربيع العربي (ماذا بعد؟) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

- 78 . العزل السياسي بين حرمان وهيمنة، الزعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.
- 79 . السياسة بين خلاف واختلاف، الزعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 3014.
- 80 . الهوية الوطنية بين متوقع وغير متوقع، الزعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014.
- 81 . العفو العام والمصالحة الوطنية، الزعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.
- 82 . فوضى الحلّ، الزعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.
- 83 . بسم الله بداية ونهاية، القاهرة، الزعيم للخدمات المكتبية والنشر، 2015.
- 84 . من معجزات الكون (خلق - نشوء - ارتقاء)، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016م.
- 85 . مقدّمة الأنبياء من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م
- 86 . موسوعة الأنبياء من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

- 87 . آدم من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر،
القاهرة 2017م.
- 88 . إدريس من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة
والنشر، القاهرة 2017م.
- 89 . نوح من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر،
القاهرة 2017م 89 .
- 90 . هود من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر،
القاهرة 2017م.
- 91 . صالح من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر،
القاهرة 2017م.
- 92 . لوط من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر،
القاهرة 2017م.
- 93 . إبراهيم من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة
والنشر، القاهرة 2017م.
- 94 . إسماعيل من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة
والنشر، القاهرة 2017م.
- 95 . إسحاق من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة
والنشر، القاهرة 2017م.

- 96 . يعقوب من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 97 . يوسف من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 98 . شعيب من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 99 . أيوب من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 100 . ذو الكفل من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 101 . يونس من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 102 . موسى من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 103 . هارون من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 104 . إلياس من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

- 105 . اليسع من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 106 . داوود من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 107 . سليمان من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 108 . زكريا من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 109 . يحيى من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 110 عيسى من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 111 . محمد من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 112 . الدعاء ومفاتيحه، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2017م.
- 113 . صنع المستقبل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

- 114 . الفاعلون من الإرادة إلى الفعل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م
- 115 . مبادئ التنمية البشرية، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م
- 116 . من الفكر إلى الفكر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م
- 117 . التهيؤ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م
- 118 . منابع الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م
- 119 . الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م
- 120 . المبادئ الرئيسة للسياسات الرفيعة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2018م.
- 121 . تحدي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.
- 122 . الواحدة من الخلق إلى البعث، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.
- 123 . مبادئ تحدي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

- 124 . المعلومة الصائبة تصحح الخاطئة (من الخوف إلى الإرهاب)
مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.
- 125 . الممكن (متوقع وغير متوقع) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر،
القاهرة 2018م.
- 126 . مبادئ فكّ التآزّمت، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر،
القاهرة 2018م.
- 127 . الأهداف المهنيّة ودور الأخصائي الاجتماعي، مكتبة
الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.
- 128 . تصحيحاً للمفاهيم (فاحذروا)، مكتبة الخانجي للطباعة
والنشر، القاهرة 2018م.
- 129 . العدل لا وسطية ولا تطرف، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر،
القاهرة 2018م.
- 130 . غرس الثّقة (مبدأ الخدمة الاجتماعيّة)، مكتبة الخانجي
للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.
- 131 . مفاهيم الصّلاة والتسليم على الأنبياء، مكتبة الخانجي،
القاهرة، 2018م.
- 132 . الخدمة الاجتماعيّة (قواعد ومبادئ قيمية) مكتبة المصرية،
القاهرة، 2018م.

- 133 - كيفية استطلاع الدراسات السابقة مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.
- 134 - الخدمة الاجتماعية (تحليل المفهوم ودراسة الحالة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.
- 135 - الخدمة الاجتماعية (مبادي واهداف قيمية) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.
- 136 - الخدمة الاجتماعية (مفاهيم مصطلحات)، مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.
- 137 - التنمية البشرية (كيف تتحدى الصّعب وتصنع مستقبلاً)، مكتبة القاضي، القاهرة، 2018م.
- 138 - مبادئ الخدمة الاجتماعية (تحدى الصّعب وإحداث التّغلب) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.
- 139 - الإرهاب بين خائف ومخيف، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.
- 140 - التطرف من الإرادة إلى الفعل، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.
- 141 - البحث العلمي (المنهج والطريقة) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

- 142 _ العدل ينسف الظلم، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.
- 143 _ تقويض الإرادة، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.
- 144 _ القوّة تفكّ التأمّلات، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.
- 145 _ إحداث النُّقْلة تحديّ، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.
- 146 _ نيل المأمول قمّة، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.
- 147 _ نحو النظريّة خلقًا، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.
- 148 _ نحو النظريّة نشوء، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.
- 149 _ نحو النظريّة ارتقاء، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.
- 150 - الخلاف (في دائرة التاريخ) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

- 151- القواعد المنهجية للباحث الاجتماعي والقانوني، القاهرة: دار القاضي، 2220.
- 152 - قواعد البحث للعلوم الاجتماعية والإنسانية، 2020م.
- 153 - كسر الوهم، القاهرة: مكتبة القاضي، 2021م.
- 154 - المنهج العلمي وإحداث النُّقطة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 2021م.
- 155 - خطوات البحث العلمي وصناعة الأمل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 2021م.
- 156 - وسائل التأهُب للبحث العلمي، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 2021م.
- 157 - طرق البحث العلمي ونيل المأمول، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 2021م.
- 158 - الطريقة العلمية لتحليل مضمون القيم، مكتبة القاضي: القاهرة، 2021م.
- 159 - حلقات صناعة المستقبل، مكتبة القاضي، القاهرة: 2021م.
- 160 - قواعد البحث العلمي وصنع المستقبل، مكتبة القاضي، القاهرة: 2021م.

161 - دراسة الحالة ودور الاخصائي الاجتماعي، القاضي،
القاهرة، 2021م.

162 - أمحمد أمي، مكتبة القاضي، القاهرة: 2021م.

المؤلف في سطور

أ.د. عقيل حسين عقيل

مواليد ليبيا 1953م

بكالوريوس آداب 1976م بدرجة الشرف الأولى جامعة الفاتح

(طرابلس).

ماجستير تربية وتنمية بشرية جامعة جورج واشنطن 1981م مع

درجة الشرف.

. دكتوراه في الخدمة الاجتماعية.

. أستاذ بجامعة الفاتح كلية الآداب (طرابلس).

. شغل منصب أمين تعليم بلدية طرابلس (1986 . 1990).

. انتخب من قبل مؤتمر الشعب العام مفتشا عاما لقطاع الشؤون

الاجتماعية، ثم كلف بالتفتيش على وزارتي التعليم العام والتعليم العالي

2006م.

. شغل منصب أمين التعليم العالي (وزيرا) 2007 . 2009م.

. انتخب أمينا عاما للتنمية البشرية بأمانة مؤتمر الشعب العام

2009م.

. صدر للمؤلف 92 بحثا نشرت داخل ليبيا وخارجها.

. صدر له (162) مؤلفا منها خمس موسوعات.

. أشرف وناقش 83 رسالة ماجستير ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثية:

1 . الخدمة الاجتماعية والتنمية البشرية.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلفات باللغة الإنجليزية والتركية.

الموقع الإلكتروني: (موقع الدكتور عقيل حسين عقيل)

أو: Dr-Aqeel.com